رنات المثالث والمثاني

في

روايات الاغاني

لجامعها ومصحّحها ومعلِّق حواشيها
الاب انطون صالحاني اليسوعي

الجزء الثالث

في

الروايات الادبية

المطبعة الكاثوليكية بيروت
١٩٣٩

المقدّمةُ

المجد لله الاعظم رب النور . مَن تترنّم بمديحه الطيور . وتُشيد بذكر جماله الزهورُ . وتموج لِتسبّحهُ وتذيع قدرتَه البحور .

أمّا بعد فانّ ما اخترناه من كتاب الاغاني لأَبي الفرج الاصبهاني من الروايات في جزئين وسمّناهما باسم « رنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني » قد راق في عيون الادباء فاقبل عليهما أَرباب المدارس والطُلّاب ولا إقبال الغرثان على لذيذ الطعام . والظمآن على الماء الزُّلال . فتعدّدت طبعتهما . وانتشرا في جميع البُلدان . وقد رغب إلينا كثيرون ان نختار جزءًا ثالثاً من الروايات نُتحف به طلّاب العربية تكون وجيزة يسهُل عليهم فهمها خالية من الاشعار الّا ما ندر وكان لا بدّ من ايرادها لفهم الرواية . فيتمرّنون منذ حداثتهم على الانشاء العربي الصحيح فلا تكون تراكيبهُ تراكيب اللغات الاجنبية

المكسوّة الفاظًا عربيّة . فمن يداوم على مطالعة الانشاء العربي الخالص لا يلبث ان يتحلّى بحليته ويحذو حذوَه .

فلبّينا الطلب وشمّرنا عن ساعد الجدّ وعكفنا مرةً أُخرى على مطالعة اجزاء كتاب الاغاني الاحد والعشرين واخترنا منها ما كان وجيزًا قريب الفهم لذيذًا . فصار هذا الجزء الثالث كالسلّم للاحداث يتدرّجون به ليرتقوا الى صفّ البيان والبلاغة فيستعدّون لمطالعة الجزئين الاوّلين والاستفادة منهما . وعلّقنا بعض الحواشي على الكتاب لشرح بعض الالفاظ وتعريف اعلام مَن ورد له ذكرٌ في الرواية من الشعراء والمُغنّين وغيرهم

والله تعالى هو الموفّق للإكمال وهو ربّ الكمال .

بيروت ٣١ ايار ١٩٣٩

كتاب

رنات المثالث والمثاني
في
روايات الأغاني

---

١ التقوى خير زاد

لمَّا حضرتْ عُبيد الله بن شدَّاد الوفاةُ دعا ابنَهُ محمدًا واوصاهُ وقال له: يا بُنيَّ أرى داعي الموت لا يُقلِع ويحِقُّ أنَّ من مضى لا يرجِع ومن بقي فاليهِ ينزِع[١] يا بُنيَّ ليكن أولَى الامور بك تقوى الله في السِّرِّ والعلانية والشكرَ لله وصِدق الحديث والنيَّة فانَّ للشكر مَزيدًا والتقوى خير زاد كما قال الحُطَيئة[٢]

---

١) لا يُقلِع لا يكفُّ . اليه ينزِع اي يحِنّ ويشتاق

٢) الحطيئة لقبٌ لُقِّب به واسمه جَرْوَل بن أوس وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم متصرِّف في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مُجيد في ذلك اجمع. وكان ذا شر وسفهٍ . وهو مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام ويُكنَى الحُطيئة ابا مُليكة .

قال صاحب الاغاني : «كان الحطيئة جَشِعًا سَؤولًا مُلحِفًا دَنِيءَ النفس كثير الشرِّ قليل الخير بخيلًا قبيح المنظر رثَّ الهيئة مغموز النسب فاسد الدِّين . وما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب إلَّا وجدتَهُ وقلَّما تجد ذلك في شعرهِ»

ولستُ ارى السعادةَ جمع مالٍ   ولكنَّ التقيّ هو السَّعيدُ
وتقوَى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخرًا   وعنــد الله للأتقى مَزيــدُ
وما لا بُــدَّ ان يأتي قريبٌ   ولكنَّ الذي يمضي بعيــدُ

٢ هذا غاية الذكاء

بينا ابن عبّاس[1] في المسجد الحرام وعندهُ نافع بن الازرق[2] وناس من الخوارج يسألونهُ. إذ اقبلَ عمر بن ابي ربيعة[3] في ثوبين مصبوغين مُورَّدين او مُمصَّرين[4] حتى دخل وجلس فأقبل عليه ابن عباس فقال انشدنا . فأنشدهُ

أَمِن آل نُعمٍ انت آتٍ فمُبكِرُ   غداةَ غــدٍ ام رائحٌ فمُهجِرُ

حتى اتى على آخرها فاقبل عليه نافع بن الازرق فقال اللهَ يا ابنَ عباس إنا نضرب إليك أكبادَ الابل من اقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنّا ويأتيك مُترَفٌ[5] من مُترَفي قريش فيُنشِدك

رأت رُجلًااماّ اذا الشمسُ عارضتْ   فيخزَى وأمّا بالعشيِ فيخسرُ

---

١) هو عبد الله بن العباس الهاشمي
٢) نافع بن الازرق من الخوارج قُتل في وقعة دَوْلاب (راجع الرنات ٢: ٤١٤-٤١٩)
٣) هو عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي ويكنى أبا الخطّاب وُلد في اول الاسلام كانت العرب تقرّ لقريش بالتقدم في كلّ شيء الّا في الشعر حتى كان عمر بن ابي ربيعة فأقرّت لها الشعراء بالشعر ايضًا ولعمر ديوان شعر طُبع في ليبسك سنة ١٩٠١ الا انهُ كله في الغزل
٤) موردين صُبغا على لون الورد ممصرين فيهما صُفرة خفيفة
٥) مُترف منعَّم مُدلَّل قد ابطرته النعمة

قال ليس هكذا قال قال فكيف قال قال

رأت رَجلًا أَمَّا اذا الشمسُ عارضت فيَضحَى واما بالعشي فيخصر[١]

فقال ما أراك الّا قد كنتَ حفِظت البيت قال أَجلْ وإِن شئتَ ان أُنشِدك القصيدة أَنشدتك اياها قال فاني اشاء. فانشده القصيدة حتى اتى على آخرها وفي غير رواية انشدها من اولها الى آخرها ثم انشدها من آخرها الى اولها مقاوبة وما سَمِعها قط الّا تلك المرّة صَفْحاً[٢] (قال) وهذا غاية الذكاء.

٣ لم تبق في المدينة ظريفة الّا ابتاعت خمارًا اسود

إن تاجرًا من اهل الكوفة قدم المدينة بخُمُرٍ[٣] فباعَها كلّها وبقيت السُّودُ مِنها فلم تَنفُقْ وكان صديقًا للدارمي[٤] فشكا ذاك اليه وقد كان نَسكَ وترك الغِناء وقولَ الشعر فقال له : لا تهتمّ بذلك فإني سأُنفِقُها لكَ حتى تَبيعَها اجمع ثم قال

قُلْ للمليحةِ في الخِمار الاسودِ ماذا صنعتِ براهبٍ مُتعبِّدِ

قد كان شمَّر للصلاة ثيابَهُ حتى وقفتِ له بباب المسجِدِ

وغنّى فيه وغنّى فيه ايضاً سِنانٌ الكاتبُ وشاع في الناس وقالوا قد فتَكَ الدارمي ورجع عن نُسكِه فلم تبقَ في المدينة ظريفةٌ الّا

---

١) عارضته قابلته . يضحى يبرز لها يخصر اي يبرد

٢) صفحاً اي تصفّح القصيدة فحفظها

٣) الخمار ما تغطّي بِهِ المرأة رأسها

٤) كان الدارمي في ايام عمر بن عبد العزيز وكانت له اشعار ونوادر وكان من ظرفاء اهل مكة وله اصوات يسيرة في الغناء

ابتاعت خِماراً اسود حتى نَفِدَ ما كان مع العِراقيّ منها. فلما علِم بذلك الدارميُ رجع الى نُسكِه.

٤ مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه

اجتاز ابو العتاهية[1] في اوّل امرهِ وعلى ظهرهِ قفصٌ فيه فَخّار يدور به في الكوفة ويبيع منه فمرَّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشِعر ويتناشدونه فسلّم ووضع القفص عن ظهره ثم قال يا فِتيانُ اراكم تتذاكرون الشعر فأقول شيئاً منه فتُجيزُونَه فان فعلتم فلكم عشرةُ دراهم وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم فهَزِؤوا منه وسَخِروا به وقالوا نعم قال لا بدّ أن يُشترَى بأحد القَمْرينِ[2] رُطَب يُؤكَل فانه قَمْر حاصِلٌ وجعل رَهْنَه تحتَ يدِ أحدِهم. ففعلوا. فقال أَجيزوا « ساكني الأَجداثِ[3] انتمْ ». وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك المَوضع اذا بلغتْهُ الشمس ولم يُجيزوا البيتَ غُرِموا الخَطَرَ[4] وجعل يهزأ بهم وتمّمه:

---

١) ابو العتاهية لقبٌ غلب عليه واسمهُ اسمعيل بن القاسم وكنيته ابو اسحق ومَنشؤه بالكوفة. كان يبيع الفخار ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم. وكان غزير البحر لطيف المعاني سهل الالفاظ كثير الافتنان قليل التكلّف. إلّا انه كثير الساقط المرذول مع ذلك. واكثر شعره في الزُّهد والامثال وله اوزان ظريفة قالها مماً لم يتقدمهُ الاوائل فيها وكان ابخل الناس مع يَسارهِ وكثرة ما جمعهُ من الاموال

٢) القمر الغلبة في القمار

٣) الجدَث القبر

٤) الخطر ما يُراهَنُ عليه في القمار

مَثلَنا بالامس كنتم ليتَ شِعري ما صنعتم ارِبحتم ام خَسِرتم

٥ فاذا فيه ملّاحٌ يعبّرُ الناس

حدَّث ابو العتاهية قال : اخرجني المهديُّ معه الى الصيد فوقعنا منه على شيءٍ كثيرٍ . فتفرق اصحابهُ في طلبه واخذ هو في طريقٍ غيرِ طريقهم فلم يلتفتوا وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيَّمت السماء وبدأت بطر فتحيّرنا وأشرفنا على الوادي فاذا فيه ملّاحٌ[1] يُعبّر الناس فلجأنا اليه فسألناه عن الطريق فجعل يُضعِّف رأينا ويُعجِّزنا في بذلِنا انفسَنا في ذلك الغيم للصيد حتى ابعدنا ثم ادخلَنا. كُوخاً له وكاد المهدي يموت برداً فقال له أُغطّيك بجُبّتي هذه الصوف فقال نعم فغطاهُ بها فتماسَكَ قليلاً ونام. فافتقدهُ غِلمانه وتبِعوا أَثَرَه حتى جاؤونا. فلما رأى الملّاحُ كثرتَهم علم انه الخليفة فهرب . وتبادر الغِلمانُ فنحّوا الجُبَّة عنه وألقوا عليه الخزّ والوَشي[2] فلما انتبهَ قال لي ويحك ما فعل الملّاح فقد والله وَجب حقُّه علينا . فقلت هرب واللهِ خوفاً من قُبح ما خاطبَنا به قال انّا لله والله لقد أردتُ ان أُغنيَهُ وبأي شيءٍ خاطبَنا . نحن والله مُستحقّون لأَقبح ممّا خاطبَنا به .

٦ مِن اين مَعاشُكم

حدَّث ابو دُلَف[3] القاسم قال حَججتُ فرأيت ابا العتاهية واقفاً

---

١) الملّاح النوتي سمّي الملّاح لملازمته الماء المالح الذي تجري فيه السفينة

٢) الخزّ الثوب المنسوج من الحرير والصوف . والوشي الثوب المحسَّن بالالوان والنقش

٣) هو ابو دلف القاسم بن عيسى العِجلي ومَحلّهُ في الشجاعة وعلوّ

على أعرابيّ في ظلّ مِيلٍ وعليه شَملةٌ اذا غطّى بها رأسه بدت رِجلاه واذا غطّى رِجليه بدا رأسُهُ فقال له ابو العتاهية كيف اخترتَ هذا البلد القفر على البُلدان المُخصِبة فقال له : يا هذا لولا أنَّ اللهَ أقنع بعضَ العِباد بشرّ البِلاد ما وسع خيرُ البلاد جميعَ العباد فقال له فمن اين مَعاشُكم فقال: منكم معشرَ الحاجّ تمرّون بنا فننالُ من فضولكم. وتَنصرِفون⁽¹⁾ فيكون ذلك. فقال: انا نمرّ وننصرف في وقت من السنة فمِن اين معاشكم فأطرق الاعرابيّ ثم قال: لا والله لا أدري ما أقول الّا انّا نُرزَق من حيث لا نَحتسِب اكثرَ مما نُرزق من حيث نَحتسِب فولّى ابو العتاهية وهو يقول

يا طالب الدنيا دعِ الدنيا لشانيكا
وما تصنعُ بالدنيا وظِلُّ المِيل يَكفيكا

٧ تَعوّدتُ مُرَّ الصبرِ حتى أَلِفتهُ

قال ابو العتاهية حبَسَني الرشيدُ لمّا تركتُ قولَ الشعر فأُدخِلتُ السجنَ وأُغلِق البابُ عليَّ فدَهِشتُ كما يدهَش مثلي لتلك الحال واذا انا برجل جالس في جانب الحبس مُقيَّد فجعلتُ انظر اليه ساعةً ثم تمثّل

تعوّدتُ مُر الصبرِ حتى أَلِفتهُ وأَسلمني حسنُ العَزاء الى الصبرِ

المَحلّ عندَ الخلفاء وعظم الغَناء في المَشاهِد وحُسن الادب وجودة الشعر مَحل ليس لكبير احد من نظرائهِ

١) تنصرفون اي تمرّون عائدين الى بلادكم

وصيَّرني يأسي من الناسِ راجياً لحُسنِ صنيع الله من حيثُ لا أَدري

فقلتُ له : أَعِد يرحمك الله هذين البيتين · فقال لي : ويلك ابا العتاهية · ما أَسوأَ ادبَك وأَقلَّ عقلَك دخلتَ عليَّ الحبسَ فما سلّمتَ تسليمَ المسلِم على المسلِم ولا سألتَ مسألةَ الحُرّ للحُرّ ولا توجّعتَ توجُّعَ المبتَلَى للمُبتَلَى · حتى اذا سمعتَ بيتَين من الشعر الذى لا فضلَ فيك غيرُه لم تصبِر عن استعادتهما ولم تُقدِّم قبلَ مسئلتك عنهما عُذرًا لنفسك في طلبهما · فقلتُ : يا اخي إني دَهِشتُ لهذه الحال فلا تعذُلني واعذِرني متفضِّلًا بذلك · فقال : أَنا والله أَولى بالدَّهَش والحَيْرَةِ منكَ لانّك حُبِستَ في أَن تقولَ شِعرًا بهِ ارتفعتَ وبلغتَ فاذا قلتَ أَمِنتَ · وانا مأخوذٌ بأَن أَدُلّ على ابن رسول الله صلعم ليُقتَل او أُقتَلَ دونَه ووالله لا ادُلّ عليه ابدًا · والساعةَ يُدعَى بي فأُقتَل فأَيُّنا احقّ بالدَهَش فقلتُ له انت واللهِ أَولى سلّمك اللهُ وكفاكَ ولو علِمتُ انّ هذه حالُك ما سألتك قال فلا نَبخَلُ عليك اذًا ثم اعاد البيتين حتى حفِظتُهما (قال) فسألته من هو فقال انا خاص داعيةُ عيسى بن زيد وابنهِ احمد · ولم نَلبَث أَن سمعنا صوتَ الأَقفالِ · فقام فسكب عليه ماءً كان عنده في جرّةٍ ولَبِس ثوباً نظيفاً كان عندهُ · ودخل الحَرَسُ والجند معهم الشمع فأَخرجونا جميعاً وقُدِّم قبلي الى الرشيد فسأله عن احمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه واصنع ما انت صانع فلو أَنّه تحت ثوبي هذا ما كشفتهُ عنه وأَمر بضَربِ عنقهِ فضُرِب ثم قال لي اظنك قد ارتعتَ يا إسمعيل فقلت دون ما رأيته تَسيل منه النفوس فقال رُدّوه الى مَحبِسه

فرُددتُ وانتحلت هذين البيتين وزِدتُ فيهما :

اذا انا لم اقبل من الدهرِ كُلَّ ما   تَكرّهتُ منه طال عَتْبِي على الدهرِ

٨ اعجب الاشياء اليهم ما فهموه

حدَّث ابن ابي الابيض قال أتيت أبا العتاهية فقلت له اني رجل اقول الشعر في الزُّهد ولي فيه اشعار كثيرة وهو مذهب أَستحسِنُه لأَني ارجو أَن لا آثَمَ فيه وسمِعتُ شعرك في هذا المعنى فأحببت أَن استزيدَ منه فأُحبّ ان تُنشِدني من جيّد ما قلتَ فقال إِعلم أَنّ ما قلتُه رديء. قلتُ : وكيف . قال لانّ الشعر ينبغي ان يكون مثلَ اشعار الفحول المتقدمين او مثلَ شعر بشّار وابن هَرمة فان لم يكن كذلك فالصواب لقائلهِ ان تكونَ الفاُظه مِمّا لا تخفى على جُمهور الناس مثل شعري ولا سيما الاشعار التي في الزهد فانّ الزهد ليس من مَذاهب الملوك ولا من مَذاهب رُواةِ الشعر ولا طُلَّاب الغريب وهو مذهبٌ أَشغَفُ الناسِ به الزُّهَّادُ واصحابُ الحديث والفقهاء واصحاب الرّياء والعامّة وأَعجبُ الاشياء إِليهم ما فَهموهُ فقلتُ صدقتَ ثم انشدني قصيدتَهُ

لِدوا للموتِ وابْنُوا لِلخرابِ   فكلُّكم يصيرُ الى تَبابِ (١)
أَلا يا موتُ لم أَرَ منك بُدًّا   أَتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي (٢)
كانكَ قد هَجمتَ على مَشِيبي   كما هجم المَشِيبُ على شبابي

---

١) التباب الخُسران والهلاك
٢) الحيف المَيلُ في الحكم والجورُ والمحاباة هي المَيلُ عن العَدْلِ

٩　لا باركَ اللهُ في العَقْعَقِ

حدَّث اسحق عن ابيه قال : كان لي وانا صَبي عقعقٌ[١] قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعَه فسرقَ خاتمَ ياقوتٍ كان لأبي قد وضعَهُ على تُكأتهِ ودخلَ الخلاء ثم خرج ولم يجده فطلبه وضرب غلامَه الذي كان واقفاً فلم يَقِف له على خبر فبينا انا ذاتَ يوم في دارنا اذ ابصرتُ العقعقَ قد نَبش تُراباً فاخرج الخاتم منه ولعب به طويلًا ثم ردَّهُ فيه ودفنه · فأَخذته وجئت به الى ابي فسُرَّ بذلك وقال يهجو العقعق

اذا باركَ اللهُ في طائرٍ　　فلا باركَ اللهُ في العقعقِ
طويلُ الذُّنابى قصير الجناح　　متى ما يجد غَفلةً يسرقِ
يقلِّبُ عينين في راسهِ　　كانّهما قطرتا زِئبقِ

١٠　إجلِس حتى أُريكَ عجَباً

حدَّث ابرهيم الموصلي قال والله إني لفي مَنزِلي ذاتَ يومٍ وأنا مفكّرٌ في الركوب مرة وفي القعود مرة اذا غلامي قد دخل ومعه خادم الرشيد يأمرني بالحضور من وقتي فركِبتُ وصرتُ اليه فقال لي : اجلِس يا ابرهيم حتى أُريك عجباً فجلستُ فقال علي بالأَعرابيّة وابنتها فأُخرجت اليَّ أَعرابية ومعها بُنية لها عَشرٌ او أَرجح . فقال : يا ابرهيم إنّ هذه الصبية تقول الشعر فقلتُ لأمّها ما يقول امير

---

١) العقعق طائر نوع من الغربان ذو لونين ابيض واسود طويل الذنَب

المؤمنين. فقالت هي هذه قُدَّامك فسَلْها. فقلتُ: يا حبيبة أتقولين الشعر فقالت نعم فقلتُ: أنشِديني بعض ما قلتِ فأنشدتني:

تقولُ لأترابٍ لها وهي تَمتري دُموعاً على الخدَّين من شدَّة الوَجدِ
أكلُّ فتاةٍ لا محالـةَ نازِلٌ بها مِثلُ ما بي ام بُليتُ به وحدي

فقال ابراهيم ما بَرِحتُ حتى صنعتُ فيه لحناً وتغنَّيتُ به وهي حاضرة تسمع. فقالت: يا اميرَ المؤمنين قد أحسنَ رِوايةَ ما قلتُ أفتأذَن لي ان أكافِئَه بمدحٍ اقولهُ فيه. قال إفعلي فقالت

ما لابراهيـ م في العلم بهـذا الشان ثاني
إنما عُمرُ ابي إسـ حاقَ زَيْنٌ للزمانِ
منه يُجنَى ثمرُ اللّهـ وِ ورَيحانُ الجِنانِ
جَنَّةُ الدنيا ابو إسـ حاقَ في كل مكانِ

قال: فأمر لها الرشيد بجائزة وامر لي بعشرة آلافِ درهم فوهبتُ لها شطرها.

١١ نهقَ حمارٌ في الطريق

حدّث رجل من اهل البصرة قال: كنتُ مع امرأتي في عُلوِ بيتٍ وبشّار[١] تحتنا او كنّا في اسفل البيت وبشّار في عُلوِهِ. فنهَق

١) بَشَّار بن بُرْد يُكنَى أبا معاذ ويُلقَّب المُرعَّث (لرعثاتٍ كانت في صغره في أذنه. والرعثات من حُليِّ الأُذن). محلُّهُ في الشعر وتقدُّمه في طبقات المُحدَثين فيه باجماع الرُّواة ورئاسته عليهم من غير اختِلاف في ذلك يُغني عن وصفِهِ وإطالة ذِكر محلِّهِ. وهو من مُخضرَمي شعراء الدولتين

حمار في الطريق فاجابهُ حمار في الجيرانِ وحمار في الدار فارتجّت الناحية بنهيقها وضرب الحمار الذي في الدار الارض برجلهِ وجعل يدقّها بها دقًّا شديدًا فسمعتُ بشارًا يقول للمرأة نُفِخَ يعلمُ الله في الصُّورِ[١] وقامت القيامةُ امَا تسمعين كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها قال ولم يلبث ان فزِعَت شاةٌ كانت في السطح فقطعت حبلَها وعَدَت فألقت طبقًا وغَضارةً[٢] الى الدارِ فانكسرا وتطايرَ حمامٌ ودَجاجٌ كُنَّ في الدار لِصوت الغضارة وبكى صبي في الدار فقال بشّار صح واللهِ الخبرُ ونُشِرَ أهل القبور من قبورهم. أَزِفت يشهدُ الله الآزِفة[٣] وزُلزِلت الارض زِلزالَها فعجبتُ من كلامهِ وغاظني ذلك فسألتُ من المتكلّم فقيل لي بشّار فقلتُ قد علمتُ انه لا يتكلّم بمثل هذا غيرُ بشّار

١٢ لَيكونَنَّ لِهذا الغُلام شأنٌ

كان سعيد ابن مسجح[٤] فَطِنًا كَيِّسًا ذكيًّا وكان اصفر حسنَ

العباسية والاموية قد شُهر فيها ومدح وهجا فاخذ سنيَّ الجوائز مع الشُّعراء. كان بشّار ضخمًا عظيم الخَلق والوجه مجدورًا طويلًا جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحمٌ احمر فكان اقبح الناس عمىً وافظعهم منظرًا . وكان اذا اراد ان ينشد صفّق بيديه وتنحنح وبصقَ عن يمينه وشمالِهِ ثم ينشد فيأتي بالعجب

١) الصور القَرن يُنفَخ فيه والبُوق

٢) الغضارة القصعة الكبيرة

٣) ازف دنا والآزفة القيامة لقُربها وان استبعدَ الناس مَداها

٤) سعيد بن مِسْجَح هو مَكّي اسود مُغَنٍّ متقدّم من فحول المغنّين

اللون وكان مَولاهُ مُعجَباً بهِ وكان يقول في صِغرهِ ليكونَنَّ لِهذا الغلام شأنٌ وما مَنعني مِن عتقه الّا حُسْنُ فِراستي فيه ولَئن عِشت لأتعرَّفَنَّ ذلك وإن مُتُّ فهو حرٌّ فسمعَهُ مَولاهُ يوماً وهو يتغنَّى بشِعر ابن الرّقاع العامِليِ

لولا الحياءُ وأنَّ راسي قد عثا[١] فيهِ المَشيبُ لَزُرتُ امَّ القاسِمِ

فدَعا بهِ مَولاه فقال لهُ يا بُنيَّ أعِد ما سمعتُه مِنك عليَّ فأعاده فاذا هو احسن مما ابتدأ بهِ فقال إنَّ هذا لَمِن بعض ما كنتُ اقول ثم قال أَنَّى لكَ هذا . قال : سمعتُ هذه الأَعاجِم تتغنَّى بالفارسية فثَقِفتُها[٢] وقلَبتُها في هذا الشِعر . قال له فأنتَ حُرٌّ لوجهِ الله . فلزِم مولاه وكثُر أدَبُه واتَّسع في غِنائهِ ومَهر بمكّة وأعجِبوا بهِ لِظَرفهِ وحُسْنِ ما سَمِعوهُ منه فدفعَ اليه مولاهُ عُبَيد بن سُرَيج وقال له يا بُنيَّ عَلِّمهُ واجتهد فيه وكان ابن سريج احسنَ الناس صوتاً فتعلَّم منه ثم برَّز عليه حتى لم يُعرَف له نظير .

١٣ أثقبُ اللؤلؤَ

دخل يزيد بن منصور الحِميَريُّ على المَهدِيّ وبَشّارٌ بين يديه يُنشِدهُ قصيدةً امتدَحهُ بها فلمَّا فرغ منها اقبل عليه يزيد بن

واكابرهم واوّل مَن صنع الغِناء منهم ونقل غناء الفُرس الى غناء العرب . وهو الذي علّم ابنَ سُرَيج والغريض

١) في الاصل « عسا » . واللفظة « عثا » رواية طبعة دار الكتب ومعناها افسدَ

٢) ثَقِف حَذِق وفهم بسرعة

منصور الحميري وكانت فيه غَفلةٌ[١] فقال له يا شيخُ ما صِناعتُكَ . فقال اثقبُ اللؤلؤ فضحك المهدي ثم قال لبشار أُغرُب ويلك اتتنادرُ على خالي فقال له وما اصنَعُ بهِ يرى شيخاً اعمى ينشد الخليفة شعرًا ويسألهُ عن صناعتهِ .

١٤ لِمَ لا تتصدَّقُ عليه بشيء

كان لأبي العتاهِيةِ جارٌ يَلتقِط النَّوى ضعيفٌ سيء الحال مُتجمِّل[٢] عليه ثيابٌ فكان يمرّ بأبي العتاهية طرفي النهارِ فيقول ابو العتاهية اللهمَّ أغنِهِ عمّا هو بسبيلهِ . شيخٌ ضعيف سيّء الحالِ عليه ثياب مُتجمّل اللهمَّ أعِنهُ إصنعْ له بارِك فيه فبقِي على هذا الحال الى أن مات الشيخ نحوًا من عشرين سنةً وواللهِ إن[٣] تصدَّقَ عليه بدِرهم ولا دانِق[٤] قطّ وما زاد على الدُّعاء شيئاً فقلتُ له يوماً يا أبا اسحق اني أراكَ تُكثِر الدعاء لهذا الشيخ وتزعُم أنه فقير مُقِلّ فلِم لا تتصدَّقُ عليه بشيء فقال أَخشَى أن يَعتادَ الصدقةَ والصدقةُ آخر كَسْب العبد وانَّ في الدُّعاء لَخيرًا كثيرًا .

١٥ كُلٌّ يَعملُ على شاكِلتِهِ

كان ابو الوزيرِ مَولَى عبد القَيس من عُمَّال الخَراج وكان عفيفاً

---

١) فيه غفلة اي يسهو
٢) اي يستر فقرهُ بلبسهِ
٣) « إن » قد تكون في جواب القسَم والله إن فعلتُ اي ما فعلتُ
٤) الدانق من الاوزان وهو سُدس الدراهم

بخيلًا . فسألَ عَمرَ بنَ العلاء وكان جوادًا شجاعاً في رَجلٍ فوهبَ له مائة الفـِ درهم فدخلَ ابو الوزيرِ على المهدي فقال له : يا اميرَ المؤمنين ان عمر بن العلاء خائن قال : ومِن اين علِمتَ ذلك . قال : كُلِّم في رجلٍ كان اقصى أَمَلِهِ ألف درهمٍ فوهبَ له مائة ألف درهم . ١
فضحكَ المهدي ثم قال قُلْ كلٌّ يعملُ على شاكلتِهِ اما سمعتَ قول بشار في عمروٍ

إذا دهمَتْكَ عظامُ الامورِ فنبِّه لَهـا عمرًا ثمَّ نَمْ

أَوَما سمعتَ قول ابي العتاهية فيه

ان المَطايا تَشتكيك لانّهـا قطعَتْ إِليك سباسِباً[1] ورِمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ مُخِفَّةً واذا رجعن بنا رجعن ثِقالا

ثم قال : من اجتمعت أَلسُنُ الناسِ على مَدحهِ كان حقيقاً ان يصدِّقها بفعلهِ

١٦ هذا هو مَنزلُهُ يا أَعمَى

حدَّث محمَّد بن الحجاج قال : كُنَّا مع بَشَّار فاتاهُ رَجلٌ فسألَهُ عن مَنزل رجلٍ ذكَرَهُ لهُ فجعلَ يُفهِمهُ ولا يَفهمُ فأَخذَ بيدهِ وقام يقودهُ الى مَنزل الرجُل وهو يقول

أَعمَى يَقودُ بَصيرًا لا أَبا لكمُ قد ضلَّ مَن كانت العُميانُ تهدِيهِ

حتى صار بِهِ الى مَنزل الرُجل ثم قال لهُ هذا هو مَنزلُه يا اعمى .

---

١) السبسب الارض القفر البعيدة

١٧ إنّا نقول ولا نفعل

انشد عُكاشةُ[1] موسى الهادى قولهُ في الخمر

حمراء مِثل دمِ الغَزالِ وتارةً عندَ المِزاج تَخالُهـا زِريابا[2]

فقالَ لهُ موسى لقد احسنتَ في وصفها إحسانَ مَن قد شَرِبها ولقد استحققتَ بذلك الحَدَّ[3] . قال ولِمَ يا اميرَ المؤمنين إنّما نقول ولا نفعل فقال كذبتَ قد وصفتَها صفةَ عالمٍ بها قال فاجعل لي الأمان حتى اتكلّم بحُجّتي قال تكلّم وانتَ آمِنٌ قال : أَجدتُ وصفَها ام لم أُجِد ؟ قال : بلى قد أَجدتَ قال : وما يُدريك أنّي اجدتُ إن كُنتَ لا تعرفُها إن كنتُ وصفتُها بطبعي دونَ امتحاني فقد شرِكتَني في ذلك بطبعك وإن كان وصفُها لا يُعلَم الّا بالتجربة فقد شرِكتَني ايضاً فيها فضحك موسى وقال له : قد نجوتَ بحيلتك مني قاتلك الله[4] فما أدهاك .

١٨ قد عوّدَتْهُ الاقتصاد حيًّا ومَيتاً

قال محمد بن عيسى الخُزَيمي كان لأَبي العتاهية خادمٌ اسودُ طويلٌ كأنّه مِحراك أتُون وكان يُجري عليه كلَّ يومٍ رغيفين . فجاءَني

---

١) هو عكاشة بن عبد الصمد العمّيّ من اهل البصرة من بني العمّ شاعر مُقلّ من شعراء الدولة العباسية . ليس مِمّن شُهر وشاع شعرهُ في ايدي الناس ولا مِمّن خدم الخلفاء ومدحهم

٢) الزرياب الذهب والاصفر من كل شيء

٣) الحدّ عُقوبة جُعلت لمن ركبَ ما نُهي عنه

٤) قاتلك الله قد ترِد بمعنى التعجب والاستحسان

الخادم يوماً فقال لي : واللهِ ما أشبعُ قلت : وكيف ذاك . قال لأنّي ما أفتُرُ من الكدّ وهو يُجري عليَّ رغيفين بغير إدام فان رأيتَ أن تكلِّمَهُ حتى يَزيدَني رغيفاً فتؤْجَر فوعدته بذلك فلمَّا جلستُ معه مر بنا الخادم فكرهتُ إعلامَه أنه شكا اليَّ ذلك فقلتُ له يا أبا اسحق كم تجري على هذا الخادم في كلّ يوم قال رغيفين فقلتُ له : لا يكفيانِهِ . قال : مَن لم يكفهِ القليل لم يكفهِ الكثير . وكلُّ من اعطى نفسَه شهوتها هلَك وهذا خادم يدخل الى حرَمي وبناتي فإن لم أُعوّده القناعة والاقتصاد أهلكني واهلك عيالي ومالي فمات الخادم بعد ذلك فكفَّنَه في إزارٍ وفراشٍ له خَلَق فقلتُ له : سُبحان الله خادم قديمُ الحُرمة طويل الخِدمة واجب الحقّ تكفِنُه في خلَق وانَّما يكفيك له كفن بدينار فقال إنَّه يصير الى البلا والحي اولى بالجديد من الميّت فقلتُ له يرحمك الله أبا اسحق فلقد عودتَه الاقتصادَ حيًّا وميّتاً

١٩ الآن ينبغي ان اهرب

حدَّث ابو غسَّان انَّ نافِع بن عَلقمةَ لمَّا وليَ مكة خافَهُ الغَريض وكان كثيراً ما يطلبه فلَم يجِدْهُ فهرب منه واستخفى في بعض مَنازِل إخوانه . (قال) فحدَّثني رجل من اهل مكَّة كان يخدُمهُ انّه دفعَ اليه يوماً ربْعةً[1] له وقال له : صِر بها الى فُلان العطّار يملأْها لي طيباً . قال

---

(١) الربعة جُونة العطار . والجونة سُلَيلة مستديرة مُغشاة ادماً تكون مع العطارين

فصِرتُ بها اليه . فلقِيَني نافع بن علقمة فقال : هذه ربعة الغريض والله . فلم أقدِر ان اكتمَهُ فقلتُ : نعم قال ما قصّتهُ فاخبرتهُ الخبر فضحك وقال سِر معي الى المنزل ففعلتُ فملأها طيباً واعطاني دنانير وقال : اعطهِ وقل لهُ يظهر فلا بأس عليه . فسِرتُ اليه مسرورًا فاخبرتهُ بذلك فجزِعَ وقال الآن ينبغي ان أهرُب انما هذه حيلة احتالها عليَّ لأقع في يدهِ ثم خرج من وقتهِ الى اليمَن فكان آخر العهد به

٢٠ عطس عطسة سقط ضرسُهُ

كان الدارمي عند عبد الصمد يحدّثهُ فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمي عطسةً هائلة . ففزِع عبد الصمد فزعاً شديدًا وغضِب غضباً شديدًا ثم استوى جالساً وقال : اتفزّعني قال لا واللهِ ولكن هكذا عُطاسي قال واللهِ لأنقعنَّكَ في دمِك او تأتيني ببيّنةٍ على ذلك . (قال) فخرج ومعه حرسيٌّ لا يدري اين يذهب به فلقِيَهُ ابن الريّان المكّيّ فسألهُ فقال انا أشهد لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد فقال له بِمَ تشهد لهذا قال : اشهدُ أنّي رأيتُه مرةً عطس عطسةً فسقط ضرسُه . فضحك عبد الصمد وخلّى سبيلَهُ .

٢١ ان اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في مَحفَّة

كان ابن عَبْدَل الأسديّ اعرج احدب وكان من أطيَبِ الناس وأملحِهم فلقيَهُ صاحِبُ العَسَس[1] ليلةً وهو سكران محمولٌ في

---

[1] العَسَس هم الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون اهل الريبة

محفّة . فقالَ له : من انتَ . فقال له : يا بغيض انت اعرف بي مِن ان تسألني من انا فاذهب الى شُغلك فانكَ تعلم ان اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفَّة فضحك الرجل وانصرف عنه.

٢٢ بِرُّك وعقوبتك جميعاً نَقدٌ

مدح الدارمي عبد الصمد بن عليّ بقصيدةٍ واستأذَنهُ في الإِنشاد فأذِن له . فلما فرغَ أُدخِلَ اليه رجل من الشُّراةِ[1] . فقال لغُلامِه أَعطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنق هذا فوثب الدارمي فقال بأبي انتَ وأُمّي بِرّك وعقوبتك جميعاً نَقد فإن رأيتَ ان تَبدأ بقتل هذا فاذا فرغَ منه امرتَهُ فاعطاني فانّي ان أَريمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك قال ولِمَ ويلك قال اخشَى ان يغلط فيما بيننا والغلط في هذا لا يُستقال[2] فضحك وأجابهُ الى ما سأل.

٢٣ بِيضُ البُزاةِ اثمن مِن سُودِ الغِربان

حدَّث عباسُ بن خالد قال : سمِعتُ غيرَ واحدٍ من اهل البَصرةِ يُحدّث أن امرأةً قالت لبشّار أيّ رُجلٍ انتَ لو كُنت اسودَ اللِّحيةِ والراسِ قال بشّار اما عَلِمتِ أنَّ بِيض البُزاةِ أثمنُ من سُود الغربان . فقالت له امّا قولك فحسَنٌ في السَّمعِ ومَن لكَ بأن يحسُنَ

---

١) الشُراة اي الخوارج وهم الذين يخالفون السلطان والجماعة . قالوا : « شرينا اي بِعنا نفوسنا ابتغاء مرضاة الله »

٢) لا يُستقال لا يُصلَح

شيبُكَ في العَينِ كما حسُنَ قولك في السّمع . فكان بشّار يقول : ما افحَمني[١] قطّ غيرُ هذه المرأة .

٢٤ نبحتُ نُباحَ الجِروِ الصغير

إن عُبَيدَ الله بن قَيسِ الرقيّات[٢] منعَهُ عبد المَلِك بن مَروانَ عَطاءَهُ من بيت المالِ وَطَلَبَهُ لِيقتلَهُ فاستجار بعبدِالله بن جعفر وقصدَه فألفاه نائماً وكان صديقاً لِسائِب خاثِر فطلبَ الاذن على ابن جعفر فتعذَّرَ فجاءَ سائِب خاثِر ليستأذِنَ له عليه قال سائب فجِئتُ من قِبَلِ رِجلِ عبد الله بن جعفر فنبحتُ نباح الجرو الصغير فانتبهَ ولم يفتح عينيه وركَلَني برجلهِ فدُرتُ الى عند راسهِ فنبحت نباح الكلب الهَرِم فانتبه وفتح عينيهِ فرآني فقال ما لكَ وَيْحَك فقلتُ : ابن قيس الرقيَّات بالباب قال : ائذَنْ له . فأذِنت . فدخل اليه فرحَّب ابنُ جعفر بهِ وقرّبَهُ فعرّفهُ ابن قيس خبره فدعا

---

١) افحمني اسكتني فلا أقدر على الجواب

٢) عبيد الله بن قيس الرُّقيَّات نسبة الى رُقَيَّة اسم امرأة والجمع رُقيَّات . انمّا أُضيفَ قيس إليهنَّ لانَّه كان يُشبّب بهنَّ . وكان قيس زُبَيريّ الهوى وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك . فلمّا قُتِل مصعب وقُتِل عبد الله هربَ فالجأ الى عبد الله بن جعفر بن ابي طالب فسأل عبد الملك في أمرهِ فأمَّنهُ . وكان ابن قيس الرّقيَّات منقطعاً الى ابن جعفر وكان يصله ويقضي عنه دينه وسُئل كثيرون عن شاعِر قُريش في الاسلام فكلّهم قالوا ابن قيس الرقيات

بظبيةٍ[1] فيها دنانير وقال : عُدّ لهُ منها فجعلتُ أعدّ واترَنَّم وأُحسنُ صوتي بجُهْدي حتى عددتُ ثلاثمائة دينار فسكتُّ. فقال لي عبدالله : ما لكَ ويلكَ سكتَّ ما هذا وقتُ قطعِ الصَّوت الحَسَنِ. فجعلتُ أَعدُّ حتى نَفِد ما كان في الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتُها اليه فلماً قبضَها قال لابن جعفر اسأل امير المؤمنين في امري. قال: نعم. فاذا دخلتَ اليه معي ودعا بالطعام فكُلْ أكلًا فاحِشاً. فركبَ ابنُ جعفر فدخلَ معه الى عبد المَلك فلماً قُدّم الطعام جعل يُسِيء الأكلَ فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا قال هذا إنسانٌ لا يجوز الّا ان يكون صادِقاً إن استَبْقيتَ وإن قُتِل كان اكذبَ الناس قال وكيف ذلك قال لانه يقول

ما نقموا من بني أُميّة إلّا م أنهم يحلُمون إن غَضِبوا

فان قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به قال فهو آمِن. ولكن لا أُعطيه عطاءً من بيت المال قال: ولِمَ وقد وهبتَه لي فأُحِب ان تهبَ لي عطاءَهُ ايضاً كما وهبتَ لي دمه وعفوتَ لي عن ذنبِهِ قال قد فعلتُ قال وتُعطيه ما فاتَه من العطاء. قال قد فعلت وامرت له بذلك

٢٥ متبطّحٌ في دهليزهِ كأنَّهُ جاموس

حدَّثَ بعض الكوفيين قال مررتُ بِبَشَّار وهو مُتبطِّحٌ في دهليزهِ كأنَّه جاموس. فقلتُ له: يا أبا مُعاذ مَن القائل

[1] الظبية جريب من جلد ظبي عليه شعره. والعامّة في ايامنا تقول ضبوة

فِي حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ   لو هَبّت الريحُ به طاحا[١]

قال: أنا. قلتُ: فما حمَلكَ على هذا الكذب. واللهِ إني لَأرى أن لو بعثَ اللهُ الرِّياحَ التي أهلكَ بها الأممَ الخاليةَ ما حرّكتك من موضعك. فقال بشّار: من اين انتَ. قلتُ: من اهل الكوفة فقال: يا اهلَ الكوفة لا تدعون ثِقلَكم ومَقتكم على كلّ حال

٢٦ لم يبق احد حضر القبر الّا استفرغَ ضحكاً

حدَّث يونس النحويّ قال مات رجل من جُند اهل الشام عظيمُ القدر له فيهم عز فحضر الحجاج[٢] جنازته وصلى عليه وجلس على قبرهِ وقال ليتزل اليه بعض إخوانهِ فنزل نفرٌ منهم فقال احدُهم وهو يُسوّي عليه رحمك الله أبا قنان إن كنتَ ما عَلِمتُ لَتُجيدُ الغِناء وتُسرِع ردَّ الكأسِ ولقد وقعت في موضع سُوء لا تخرج منه واللهِ الى يوم القيامة. (قال) فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضحِكَ وكان لا يُكثر الضحك في جِدٍّ ولا هزال فقال له: أهذا موضع هذا لا أُمَّ لك.

---

١) اي ذهبت به الريح

٢) هو الحجاج بن يوسف كان على شرطة عبد الملك بن مَروان وليَ على الحجاز والعراق عشرين سنة وزعم قوم ان الحجاج بلاء صبَّهُ الله على اهل العراق. وكان قتل من الأشراف والرؤساء مائة الف وعشرين الفًا سوى العوام ومن قُتل في معارك الحروب وكان مات في حبسهِ خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة. مات الحجاج وقد بلغ من العمر ثلاثًا وخمسين سنة. ذكروا انه اخذهُ السلّ وهجرهُ النوم والرقاد (عن مختصر تاريخ الدول لابن العبري صفحة ١٩٢ و١٩٥)

فقال اصلحَ الله الامير فرسُه حبيس في سبيل الله لو سمعهُ الامير وهو يغنّي :

يا لُبَيْنَى أوقِـدي النارَ إنَّ من تهوينَ قد حارا

لانتثر الامير على سعنةَ وكان الميت يلقب بسعنة فقال انّا لله أَخرجوه من القبر ما أَبيَنَ حُجَّة اهل العِراق في جهلكم يا اهلَ الشام. قال: وكان سعنة هذا الميّت من اوحش خلق الله كلِّهم صورةً واذمّهم قامةً فلم يبق احد حضر القبر الّا استفرغ ضحكاً.

٢٧ لوني حائل وشَعري مُفلفَل

دخل نُصَيب[١] على عبد الملك فتغدّى عنده ثم قال هل لكَ فيما نتنادم عليه فقال : تؤمنني ففعل فقال لوني حائـل[٢] وشعري مفلفل وخلقتي مشوَّهة ولم أبلغ ما بلغتُ من اكرامك اياي بشرفِ أبٍ او أمّ او عشيرة وانما بلغتُه بعقلي ولساني فأنشدك الله

---

١) كان نُصيب بن رباح عبدًا لبعض العرب هو وأَهلُ بيته . فاشتراه منهم عبدُ العزيز بن مروان واعتقهُ . (راجع الرنَّات ١ : ١٢) ويكنى ابا مِحجن . وكان شاعرًا فحلًا فصيحًا مُقدَّمًا في النَّسيب والمديح ولم يكن له حظّ في الهجاء وكان عفيفًا كبير النفس يجيد مديح الملوك ومَراثيهم اتى النُّصَيب عبد الله بن جعفر فحملَه واعطاه وكساه فقال له قائل : يا أبا جعفر اعطيت هذا العبد الاسود هذه العطايا فقال واللهِ لئن كان اسود إنّ ثناءه لابيض وانّ شِعره لعربيّ ولقد استحقّ بما قال اكثر مما نال . وما ذاك انما هي رواحل تنضى وثياب تبلى ودراهم تفنى . وثنـاء يبقى ومدائِح تُروَى

٢) حائل متغيّر . مفلفل شديد الجعودة كشعر العبيد

يا امير المؤمنين أن لا تحول بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة منك .
فأعفاه

٢٨ قد هوَّنتِ عليَّ أمرَكِ

لمّا أُحتُضِر[١] ابن سُريج[٢] نظرَ الى ابنتهِ تبكي فبكى وقال:
انّ من اكبر همّي انتِ . أَخشَى ان تضيعي بعدي فقالت لا تخَفْ فما غنّيتَ شيئاً الّا وانا اغنّيه فقال هاتي فاندفعت تغنّي اصواتاً وهو مُصغٍ اليها . فقال: قد أصبتِ ما في نفسي وهَوَّنتِ عليَّ أمرَكِ ثم دعا سعيد بن مسعود الهُذَلي فزوَّجهُ اياها فأخذ عنها اكثرَ غناء ابيها وانتحلهُ[٣] فهو الآن يُنسَب اليه .

٢٩ ويلك لا تدَعُ مجونك وسفهَك

حدَّث مولى لِعمر بن ابي رَبيعة قال كنتُ مع عُمَر وقد اسنَّ وضعف فخرج يوماً يمشي متوكِئاً على يدي حتى مر بعجوز جالسة فقال لي : هذه فُلانة وجلَس معها يُحادثها فأطلعت راسها الى البيت وقالت يا بناتي هذا ابو الخطاب عمر بن ابي ربيعة عِندي فان

---

١) احتُضِر حضَرهُ الموت

٢) ابن سُرَيج هو عُبيد الله بن سريج ويُكنَى ابا يحيى من اهل مكّة . كان في عينيهِ قَبَلٌ لا يبلغ ان يكون حَولًا . (القبَل إقبال سواد العين على الأنف) وكان آدم أحمر وكان له صلعٌ في جبهته فكان يلبس جمّة مركّبة وكان اكثر ما يُرَى مقنّعًا يُسبِل القناع على وجهه وكان حسنَ الناس غِناءً غنّى في خلافة عثمان ومات بعد قتل الوليد بن يزيد وبلغ خمساً وثمانين سنة

٣) انتحلهُ ادَّعاه له

كنتنَّ تشتهينَ أن ترينَهُ فتعالينَ فجئنَ الى مَضرَبٍ[١] قد حُجزنَ به دونَ بابها فجعلنَ يثقُبنه ويضعنَ اعينَهنَّ عليه يُبصرنَ فاستَسقاها عُمَر . فقالت له ايّ الشراب أَحبُّ إليك قال الماء . فأُتي بإناء فيه ماء فشرب منه ثم ملأَ فمُهُ فمجَّهُ عليهنَّ وفي وجوههنَّ من وراء الحاجز فصاح الجواري وتهاربنَ وجعلنَ يضحكنَ . فقالت العجوز: ويلك لا تدع مُجونك[٢] وسفهَك مع هذا السِنّ فقال لا تلوميني فما ملكتْ نفسي لما سمعتُ من حركاتهنَّ أن فعلتُ ما رأيتِ .

٣٠ كُلُّ حاجةٍ لكُمْ مَقضِيَّةٌ إلّا سَلْماً

غضِب بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسِر[٣] وكان من تَلامذَتهِ ورُواته فاَستشفعَ عليهِ بجماعةٍ من إخوانِه فجاؤُوه في أَمرهِ فقال لهم كُلُّ حاجةٍ لكم مَقضِيَّةٌ الّا سَلْماً قالوا ما جِئناك الّا في سَلْمٍ ولا بُدَّ من أن تَرضَى عنهُ لنا فقال أينَ هو الخبيثُ قالوا ها هو

---

١) المضرب الخيمة

٢) المُجون المزاح والهزل

٣) سَلْم الخاسِر هو سَلْم بن عمرو بصريّ شاعر مطبوع متصرّف في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية وهو راوية بشار بن بُرد وتلميذه وعنه اخذ ومن بحرهِ اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر . ولقّب سلْم الخاسر فيما يقال لانّه ورث من ابيه مُصحَفًا فباعه واشترى في ثمنهِ طنبورًا . وقيل بل خلّفَ له ابوه مالًا فأنفقه على الادب والشعر فقال له بعض اهلهِ انك لخاسِر الصَّفْقة فلقّب بذلك . وكان صديقًا لابراهيم الموْصلي ولأبي العتاهية خاصّة من الشعراء والمغنّين ثم فسدَ ما بينه وبين ابي العتاهية وكان سَلْم منقطعاً الى البرامكة والى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم

هَذا فقام اليه سَلْمٌ فقبَّلَ راسَهُ ومثَلَ بين يديه وقال : يا أَبا مُعاذٍ خِرِّيجُك[١] وأَدِيبُك . فقال : يا سَلْمُ مَن الذي يقول

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجتهِ وفازَ بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ[٢]

قال أَنتَ يا أَبا مُعاذٍ جعلني الله فداءَكَ قال : فمَنِ الذي يقول

مَن راقب الناس مات غمًّا وفـازَ باللّذةِ الجَسُورُ[٣]

قال خِرِّيجُكَ يقول ذلك يعني نفسَهُ قال افتأْخذُ مَعانيَ التي قد عُنيتُ بها وتعِبتُ في استنباطها فتكسوها أَلفاظًا أَخفَّ من أَلفاظي حتى يُروَى ما تقولُ ويَذهبَ شِعري لا أَرضى عنكَ ابدًا (قال) فما زالَ يتضرَّعُ اليه ويَشفَعُ له القومُ حتى رضِيَ عنه .

٣١ أَوَلدَتْكَ أُمّكَ أَعمَى أَم عَمِيتَ بعد ما وَلدَتْك

اخبرَ الحَكَمُ بن مَخلَدِ بنِ حازمٍ قال : مررتُ انا ورجلٌ من عُكلٍ بقصر أَوس فاذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحدَهُ فقال لي

---

١) فلان خِرِّيجك اذا درَّبتَهُ وعلَّمتَهُ

٢) الفتك ركوب ما همَّ من الامور ودَعت اليه النفسُ – واللَّهِج المُولَع بالشيء

٣) « هذا البيت وبيت بشّار قبلَهُ يذكرها علماء البلاغة شاهدًا لحُسن أخذ الشاعر الثاني من الاول ويسمونهُ حُسن الاتباع . لان بيت سَلْم اجود سبكًا واخصر لفظًا » (حاشية طبعة دار الكتب) وقد اقرَّ بذلك بشّار اذ قال « يروى ما تقول ويذهب شعري »

العَكْلي لا بدّ لي من أن أعبَث[١] ببشّار فقلتُ : ويحك مَهْ[٢] لا تُعرّض بنفسك وعِرضك له فقال إني لا أَجِدُه في وقتٍ اخلى منه في هذا الوقت قال فوقفتُ ناحيةً ودنا منه فقال يا بَشّار فقال : مَن هذا الذي لا يَكنيني ويدعوني باسمي قال : سأُخبرُك مَن أنا فأخبِرني أنتَ عن أُمّك أَوَلدتْكَ اعمى أم عَمِيتَ بعدَ ما وَلدتْك قال : وما تُرِيدُ الى ذلك قال وَدِدتُ أنْ فُسِحَ لكَ[٣] في بصرِكَ ساعةً لِتنظُر الى وجهك في المرآة فعَسَى أنْ تُمسِكَ عن هِجاءِ الناس وتَعرِفَ قَدرَك . فقال ويحكم مَن هذا أما أحدٌ يُخبِرُني مَن هذا فقال له : على رِسلِك[٤] انا رَجلٌ مِن عُكْلٍ وخالي يبيع الفَحم بالعَبلاء فما تَقدِرُ أن تقول . قال لا شيء إذهَبْ بأبي انت في حِفظ الله .

٣٢ ما في الدنيا اهل صَناعة شَرٌّ مِنّا

حدّث عُبَيد بن حُنَين الحِيرِي[٥] قال : كان المغنون في عصر جَدّي اربعة نَفَرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعِراق والذين بالحجاز ابن

---

١) عبِثَ لعِبَ ومزحَ
٢) مَهْ زجرٌ ونهيٌ وهو اسم مبني على السكون بمعنى اسكت
٣) لو فُسِح لك اي لو أُعطي لك ان تبصر هُنيهة
٤) على رسلك اي على مهلك اتئد ولا تعجَل
٥) حُنين بن بلُّوع الحِيري يُكنَى ابا كعب كان شاعرًا مُغنيًا فحلًا من فحول المغنّين وله صنعة فاضلة متقدّمة وكان يسكن الحيرة ويكري الجمال الى الشام وغيرها وكان نصرانيًّا

سُريج والغَرِيض ومَعْبَد فكان يبلُغهم أنّ جدّي حُنيناً قد غنّى في هذا الشعر

هلّا بكَيتَ على الشبابِ الذاهِبِ وكففتَ عن ذمّ المَشيبِ الآيبِ

قال فاجتمعوا فتذاكروا امر جَدّي وقالوا ما في الدنيا اهل صناعة شر منا لنا اخ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزورهُ ولا نستزيره فكتبوا اليه ووجهوا له نفقة وكتبوا يقولون نحن ثلاثة وانت وحدكَ فأنت اولى بزيارتنا فشخص اليهم فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه فلم يُرَ يومٌ كان اكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذٍ ودخلوا فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد صِيروا اليّ فقال له ابن سُرَيج : ان كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لمولاتي سُكَينة بنت الحسين عطَفنا اليك فقال ما لي من ذلك شيء . وعدلوا الى مَنزِل سكينة فلمّا دخلوا اليها أَذِنت للناس إذناً عاماً فغصّت الدار بهم وصَعِدوا فوق السطح وامرت لهم بالاطعمة فاكلوا منها ثم انهم سألوا جدّي حنيناً ان يغنّيهم صوته الذي اولهُ « هلّا بكيتَ على الشباب الذاهبِ » . فغنَّاهم إيَّاه بعد ان قال لهم ابدأوا انتم فقالوا : ما كنّا لنتقدمك ولا نغنّي قبلك حتى نسمعَ هذا الصوت . فغنّاهم اياه وكان من احسن الناس صوتاً فازدحم الناس على السطح وكثُروا ليسمعوه . فسقط الرِواق على مَن تحته فسَلِموا جميعاً وأُخرِجوا اصحاء ومات حُنَين تحت الهدم فقالت سكينة عليها السلام لقد كدّر علينا حنين سرورنا انتظرناهُ مدة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقهُ الى منِيّتِه

٣٣ إنَّه اجوف لا عقل له

حدّثَ اسحق بن شُعَيب قال: وردتُ على بني فَزارة ساعياً فأتاني ابن ميَّادة[1] مسلماً عليَّ وجاءتني بنو فزارة ومعها رجل من بني جعفر ابن كِلاب كان لهم جارًا وكان مخطَّطاً[2] موسوماً بجمال. فلمّا رأيته اعجبني فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم: ايّ اخوالي هذا فوالله انه لَيَسُرّني أن أرى فيكم مثله. فقالوا: هذا امتعَ الله بك رجل من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جار قال فأصغى اليَّ ابن ميادة وكان قريباً منّي وقال: لا يغرّنّك بأبي انت ما ترى من جسمهِ فانّه اجوفٌ لا عقلَ له. فسمعه الجعفري فقال: انّي تقعُ يا ابن ميّادة وانت لا تقري ضيفك فقال له ابن ميادة ان لم اقرهِ قراهُ ابن عمي وانت لا تقري ولا ابنُ عمك. قال ابن عمران: فضحِكتُ مما شهد به ابنُ ميادة على نفسهِ

٣٤ رأَتاهُ يوماً يَعصِرُ عينيهِ ويبكي

الغَريض لقبٌ لُقِّب به لانه كان طريّ الوجه نَضِرًا غضّ الشباب حسَن المنظر فلُقِّب بذلك والغريض الطريّ من كل شيء. كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدُّفّ ويُوقِع بالقضيب وكان جميلًا وضيئاً

١) ابنُ ميّادة اسمهُ الرمَّاح بن ابرد وكنيته ابو شرحبيل وقيل بل يُكنى ابا شُرَحبيل وامُّه ميَّادة امّ ولدٍ بربرية ورُوي انها كانت صَقْلَبيَّة. وكان ابن ميادة يزعم انّ امّه فارسية.

وابن ميَّادة شاعر فصيح مقدَّم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلَّام في الطبقة السابعة وقرنَ به عمر بن لجأ والعُجَيف العُقَيلي والعُجير السَّلُولي

٢) مخطَّط جميل

وكان يُصنِع نفسَهُ ويُترِفها[1] . وكان قبلَ ان يغني خياطاً . واخذ الغِناء في اول امرهِ عن ابن سُريج لانه كان يخدُمه فلمّا رأى ابنُ سريج طبعه وظَرْفه وحلاوة مَنطِقه خشي أن يأخذ غناءَهُ فيغلِبهُ عليهِ عند الناس ويفوقه بحُسن وجهه وجسدهِ فاعتلّ عليه[2] وشكاه الى موليَاتهِ وهُنَّ كُنَّ دفعنَهُ اليهِ ليُعلِّمهُ الغناء وجعل يتجنّى عليه ثم طردَهُ . فشكا ذلك الى مَولَياته وعرّفهن غرض ابن سُريج في تنحيتهِ اياه عن نفسهِ وانه حسدَهُ على تقدُّمهِ . فقُلنَ له : هل لك في أن تسمع نَوحنا على قتلانا فتأخذَهُ وتغنّي عليه . قال : نعم فافعلنَ . فأسمعنَهُ المراثي فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثي وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلَّ من سمعَهُ ولما كثُر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا اليه لما كان فيه من الشَّجا[3] . فكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً الّا عارضهُ الغريض فيهِ لحناً آخر . فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدَّ عليه وحسدهُ فغنّى الارمال والاهزاج[4] فاشتهاها الناس فقال له الغريض : يا ابا يحيي قصّرت الغناءَ وحذفتَهُ . قال نعم يا مُخنّث[5] حين جعلتَ تنوح على امّك وأبيك فلمّا غَضِب ابن سريج على الغريض

---

١) صنّع نفسه زيّنها وحسّنها بالصناعة . يُترفها اي يدلِّلها

٢) اعتلّ عليه تجنّى وادّعى ذنباً لم يفعله

٣) الشجا ما يهيّج الحزن

٤) الرَّمَل ما كان غير القصيد من الشعر وغير الرجز الهزج تدارُك الصوت في خِفّة وسُرعة . الشِعب الطريق في الجبل

٥) المخنّث الذي يتثنى ويتكسّر في مشيتهِ

فأقصاه وهجره لحق بجوراء وبَغُوم جاريتين ناحتين كانتا في شِعْب ابن عامِر بمكّة ولمْ يكن قبلها ولا بعدهما مثلُهما . فرأتاه يوماً يَعصِر عينيه ويبكي . فقالتا له : ما لكَ تبكي . فذكر لهما ما صنع به ابنُ سريج . فقالتا له : لا ارقأ الله دمعَك[1] . ألْزِزْ راسك بين ما اخذتَهُ عنه وبين ما تأخذه منّا . فان ضِعتَ بعدَها فأبعدَك اللهُ

٣٥ حَيّوا ورحبوا وسهلوا ووسعوا

كان ابنُ سَنيحان يحدِّث قال : كنتُ آلَفُ من قُرَيش اهلَ بيتينِ سِوى مَن كنتُ منقطعاً اليه من بني اميّة : بني عبد الرحمن بن الحرث بن هِشام وبني مُطِيع فلمّا ضربني مروان الحدَّ جِئتُ فجلستُ الى بني مطيع كما كنتُ اجلِس فلمّا رأوني عرفتُ الكراهةَ في وجوههم والله ما اقبلوا عليَّ بحديثهم ولا وسعوا لي . فانصرفتُ ورُحتُ الى بني عبد الرحمن فلمّا رأوني اقبلوا بوجوههم علي وحيّوا ورحبوا وسهّلوا ووسّعوا ورفعوني الى حيثُ لم اكن أجلِس واقبلوا عليَّ بوجوههم يحدِّثونني وقالوا : لعلّك خشعتَ[2] للذي لحقك . أما والله لقد علِم الناس أنك مظلوم وظلّموا مروان في فعله ورأوا انه قد أساء واخطأ في شأنك وقالوا ما ضرّك ذلك ولا نقصك ولا زادك إلّا خيرًا وما زالوا حتى بسطوني .

---

١) لا ارقأ دمعك اي لا رفع دمعك
٢) خشعت اي ذللت وأصل الخشوع خفض الصوت والبصر

٣٦ اضاعوني واي فتًى اضاعوا

كان لأَبي حنيفة جار بالكوفة يغنّي فكان اذا انصرف وقد سكِرَ يغنّي في غرفته ويسمع ابو حنيفة غناءه فيُعجبهُ وكان كثيرًا ما يغنّي اضاعوني واي فتىً اضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِداد ثَغرِ

فلقيه العسَس ليلةً فأَخذوه وحُبس. ففقد ابو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من غدٍ فأُخبِر. فدعا بسَوادهِ وطَويلته[1] فلبسهما وركبَ الى عيسى بن موسى فقال له: انّ لي جارًا اخذه عسَسك البارحة فحُبس وما علمتُ منه الّا خيرًا. فقال عيسى: سلّموا الى ابي حنيفة كلَّ من اخذهُ العسس البارحة. فأُطلِقوا جميعاً. فلمّا خرج الفتى دعا بهِ ابو حنيفة وقال له سِرًّا: أَلستَ كنتَ تغنّي يا فتى كلّ ليلة اضاعوني وايَّ فتًى اضاعوا. فهل اضعناكَ قال: لا والله ايها القاضي ولكن احسنتَ وتكرمتَ احسن الله جزاءك. قال فعُدْ الى ما كنتَ تغنّيه فاني كنتُ آنَسُ به ولم أَرَ بهِ بأساً. قال: افعَلُ.

وقال الاصمعي: مررتُ بكنّاس بالبصرة يكنُس كنيفاً ويغنّي

« اضاعوني وأيَّ فتىً اضاعوا ليومِ كريهة وسِداد ثغرِ »

فقلت له: امّا سِداد الكنيف فأَنتَ مَلِي بهِ. وامّا الثغر فلا عِلم لي بكَ كيف انتَ فيه وكنتُ حديثَ السِنّ فأَردتُ العبثَ به فأَعرض عنّي مليًّا ثم اقبل عليَّ فأنشد متمثلًا

---

١) طويلته اي قلنسوته الطويلة . سواده اي ثوبه . ان العباسيين كانوا يلبسون الثياب السود

وأُكرِمُ نفسي إنني إِن أَهنتُها ... وحَقّك لم تكرُمْ على احدٍ بعدي

(قال) فقلتُ لهُ : واللهِ ما يكون من الهوان شيء اكثرُ مما بذلتَها له . فبأي شيء اكرمتَها . فقال : بلى والله إنَّ من الهوان لشرًّا ممَّا انا فيه . فقلتُ : وما هو . فقال : الحاجة اليك والى امثالك من الناس . فانصرفتُ عنهُ أخزى الناس

٣٧ ثكلتْهُ امُّهُ إن لم أَرجع

قال ابن الكلبي قَدِم ابنُ سُريج والغريض المدينة يتعرَّضان لمعروف اهلها ويزوران من بها من صديقهما من قُرَيش وغيرِهم فلمَّا شارفاها تقدّما ثَقَلَهما ليرتادا منزلًا حتى اذا كانا بالمغسلة وهي جبَّانة على طرَف المدينة يُغسَل فيها الثياب اذا هما بغُلامٍ مُلتحِف بازار وطرَفهُ على راسهِ بيدهِ حِبالة يتصيّد بها الطير وهو يتغنّى ويقول :

القصر والنخلُ والجمَّاء بينهما ... أَشهَى الى النفس من ابواب جَيرونِ

واذا الغلام معبد (قال) فلما سمع ابن سريج والغريض معبدًا مالا اليه واستعاداه الصوتَ فاعاده فسمعا شيئاً لم يسمعا بمثله قطّ فاقبل احدُهما على صاحبه فقال : هل سمعت كاليومِ قطُّ . قال : لا واللهِ فما رأيك . قال ابن سُريج هذا غناء غلام يصيد الطيرَ فكيف بمن في اَلجوْبة يعني المدينة قال : امَّا انا فثكلتهُ امّه ان لم ارجع (قال) فكرًّا راجعَين .

٣٨ هَل مِن قِرًى فاني مقوٍ من الزاد

حدّث يحيي بن عُروة بن أُذَينة قال : خرجتُ في حاجة لي فلمّا كنتُ بالسَّيالة[١] وقفتُ على مَنزِل ابراهيم بن علي بن هَرمة فصِحتُ : يا أَبا إسحاق. فأجابَتني ابنتُه : مَن هذا فقلتُ : أنظُري. فخرجت إليَّ فقلتُ : أَعلمي ابا اسحق فقالت : خرج والله آنفاً فقلت : هل مِن قِرًى فإنّي مُقوٍ[٢] من الزاد قالت : لا والله ما صادفتَهُ حاضرًا. قلت : فأينَ قول ابيك :

« لا أُمتِع العوذَ[٣] بالفِصالِ ولا أَبتاعُ الّا قريبةَ الاجلِ »

قالت. بذاك واللهِ افناها. فأخبرتُ ابراهيم بن هرمة[٤] بقولها. فضمّها اليه وقال : بأبي أنتِ وامّي. أنتِ واللهِ ابنتي حقًّا. الدارُ والمَزرعةُ لكِ.

٣٩ قلبي لك شاكر ولساني بالثناء عليك ناشر

حدّثَ اسحاق بن ابراهيم المَوصِلي قال : عاتَبني ابراهيم بن المَهدي في ترك المجيء اليه فقال لي : من جمع لك مع المودّة الصادِقة رأيًا حازمًا

---

١) السيالة اول مرحلة لاهل المدينة اذا ارادوا مكة
٢) أقوى نَفِد طعامه وجاعَ
٣) العوذ الحديثة النتاج من الابل. والفصال اولادُها
٤) ابن هَرمة هو ابرهيم بن . . . بن هرمة كان مشتهرًا بالنبيذ مُدمنًا للشراب مُغرمًا به ويكنَى أبا اسحق وكان قصيرًا دميمًا أُريمص . وكان من مخضرمي الدولتين مدح الوليد بن يزيد ثم أبا جعفر المنصور . وكان منقطعًا الى الطالبيين. وهو آخر الشعراء الذين يُحتَجّ بشعرهم. وكان المِسوَر بن عبد الملك المخزومي يعيب شعر ابن هرمة وكان المسور هذا عالمًا بالشعر والنسيب

فأجمع له مع المحبة الخالصة طاعةً لازمة. فقلتُ له: جعلني الله فداك اذا ثبتَتِ الأصول في القلوب نطقتِ الألسُن بالفروع. واللهُ يعلم أنَّ قلبي لك شاكر ولساني بالثناء عليك ناثر وما يظهر الوُدّ المستقيم الّا من القلب السّليم. قال: فأبرِئْ ساحتك عندي بكثرة مَجيئك اليّ. فقلتُ: أجعلُ مجيئي اليك في الليل والنهار نُوَباً اتيقّظُ لها كتيقّظي للصلوات الخمس واكونُ بعد ذلك مُقصِّراً. فضحك وقال: من يقدر على جواب المغنّين. فقلت: من اتّخذَ الغِناء لنفسِهِ ولم يتخذهُ لِغيرِهِ. فضحك ايضاً وأمر لي بخِلَع ودنانيرَ وبِرذَوْن[1] وخادم. وبلغ الخبرُ المعتصِمَ فضاعف لابراهيم ما اعطاني. فرُحتُ وقد ربحتُ وأربحتُ

٤٠ مَن كان ضَيفكَ البارحة

حدَّث عبدُ الله بن ابي عُبيدة قال: زُرتُ عبدالله بن حسن ببادِيته، وزاره ابن هَرمة فجاءَه رجل من اسلَم. فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن: اصلحك الله سَلِ الأسلميّ أن يأذن لي أن أُخبرك خبري وخبرَهُ. فقال له عبدالله بن حسَن إئذَن له فأذِنَ له الاسلمي فقالَ له ابراهيم بن هرمة: إني خرجتُ اصلحك الله أبغي ذَوْدًا[2] لي فاوحشتُ وضِفتُ هذا الاسلمي فذبحَ لي شاةً وخبز لي خُبزًا واكرَمني ثم غدَوتُ من عندهِ فأقمتُ ما شاء الله ثم خرجتُ ايضاً في بُغاء ذَوْد لي فاوحشتُ فضِفتهُ فقراني بلَبَن وتمر. ثم غدوتُ من عندهِ فاقمتُ ما شاء

---

١) البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العِراب
٢) الذود القطيع من الابل الثلاث الى التسع

الله ثم خرجتُ في بُغاء ذود لي فاوحشتُ فقلتُ: لو ضفتُ الاسلمي فاللبنُ والتمرُ خيرٌ من الطَّوَى[١] فضِفته فجاءني بلبن حامض فقال: قد أَجبتُه أَصلحكَ الله الى ما سأل فسَلْهُ ان يأذن لي أن أُخبِرك لِمَ فعلتُ. فقال له: إئذن له. فأذنَ له. فقال الاسلمي: ضافني فسألتهُ من هو. فقال: رجلٌ من قُرَيش. فذبحتُ له الشاة التي ذكرَ. ووالله لو كان غيرُها عندي لذبحتُهُ له حين ذكر انه من قريش. ثم غدا من عندي. وغدا عليَّ الحي فقالوا مَن كان ضيفك البارحة. قلتُ: رجل من قريش فقالوا لا واللهِ ما هو من قريش ولكنه دَعيٌّ[٢] فيها. ثم ضافني الثانيةَ على أنه دعيٌّ في قريش. فجئته بلبن وتمر وقلتُ دَعِيُّ قريش خير من غيره ثم غدا من عندي وغدا عليَّ الحي. فقالوا: من كان ضيفك البارحة قلتُ: الرجل الذي زعمتم انه دعيٌّ في قريش فقالوا لا والله ما هو بدعيٍ في قريش ولكنّه دَعيُّ أدعياء قريش. ثم جاءني الثالثةَ فقريتُهُ لبناً حامضاً ووالله لو كان عندي شرٌّ منه أقريتُه اياه (قال) فانخذل ابنُ هرمة وضحك عبدالله وضحكنا معه

٤١ هذا العَيْشُ لا الغَيْث

حدَّثَ اسحق بن أيوب قال اعتمرتُ[٣] في رجب سنة خمس ومائة فصادفني ابن ميَّادة بمكة وقدِمَها مُعتمرًا. فأصابنا مطر شديد تهدَّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق. فجلس اليَّ ابنُ ميَّادة الغَدَ

١) الطوَى الجوع ٢) الدعيّ من ينتسب الى غير ابيه وعشيرته
٣) اعتمر تمّم العُمرة وهي زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة معروفة

من ذلك اليوم. فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيث فيقولون: صَعِق فلان وانهدم بيت فلان فقال ابن ميادة: هذا العَيْث[1] لا الغيث. فقلتُ: فما الغيث عندك. فقال:

سحائبُ لا من صَيِّبٍ[2] ذي صَواعقٍ ولا مُحرقاتٍ ماؤهُنَّ حميمُ
اذا ما هبطنَ الارضَ قد ماتَ عُودُها بَكَيْنَ بها حتى يَعيشَ هَشيمُ

٤٢ عَصا حَكَمٍ في الدارِ اوّلُ داخِلٍ

كان الحَكَم بن عَبْدَل الأَسَدِي اعرجَ لا تفارقهُ العصا فترك الوُقوف بأبوابِ الملوك وكان يكتُب على عصاهُ حاجتهُ ويبعَث بها مع رُسُله فلا يُحبَس له رسولٌ ولا تُؤَخَّر له حاجة. فقال في ذلك يحيى بن نَوفَل:

عصا حكمٍ في الدارِ اوّلُ داخلٍ ونحن على الأَبوابِ نُقصَى ونُحجَبُ
وكانت عصا موسى لفِرعَونَ آيةً وهذي لَعمرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعصى ويُحذَر سُخطُها ويُرغَبُ في ارضاةِ منها ويُرهبُ

(قال) فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضَحِك الناسُ منها. فكان ابنُ عبدل بعد ذلك يقول ليحيي ما أردتَ من عصاي حتى صيّرتها ضُحكةً[3] واجتنبَ ان يكتب عليها كما كان يفعل وكاتبَ الناسَ بحوائجِهِ في الرِّقاع[4]

---

١) العيث الفساد ٢) الصيّب السحاب ذو المطر
٣) اي موضع ضحك
٤) جمع رُقعة وهي القطعة من الورق يُكتَب عليها

٤٣ أَلا تبيع هذه المَنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها

دخل مُطيع بن إياس[١] ويحيي بن زياد على حمّاد الراوية[٢] فإذا سِراجه على ثلاث قصبات قد جُمِع اعلاهُنَّ وأسفلهنَّ بطين. فقال له يحي بن زياد يا حمّاد إنك لَمُسْرف مُبتذِل لِحُرّ المتاع[٣] فقال له مُطيع ألا تَبيع هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتُنفِق علينا وعلى نفسك الباقي وتَسِع به. فقال له يحيي: ما أحسنَ ظنّك به ومن اين له مِثلُ هذه انما هي وديعة او عاريّة[٤] فقال له مُطيع: أما إنه لَعظيم الأمانة عند الناس قال له يحيي: وعلى عظيم امانته فما اجهل مَن يُخرج مِثلَ هذه من داره ويأمن عليها غيره قال مُطيع: ما أظنّها عاريةً ولا وديعة ولكنّي اظنّها مرهونة عنده على مال وإلّا فمن يُخرج هذه من بيته.

---

١) مُطيع بن إياس الكناني شاعر من مُخضرمي الدولتين الأُموية والعباسية وليس من فحول الشعراء في تلك ولكنّه كان ظريفاً خليعاً حلوَ العشرة مَليح النادرة ماجناً مُتّهماً في دينه بالزندقة ويُكنى أبا سلمى ومولده ومنشؤه الكوفة وكان منقطعاً الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفاً بعدهُ في دولتهم ومع اوليائهم وعمّالهم واقاربهم لا يكسد عند احد منهم ثم انقطع في الدولة العباسية الى جعفر بن ابي جعفر المنصور فكان معه حتى مات.

٢) حمّادُ الراويةُ هو حمّاد بن ميسرة كان اعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها واشعارها وأنسابها ولُغاتها. وكانت مُلوك بني اميّة تقدّمهُ وتؤثرهُ وتستزيرهُ فيَفد عليهم ويُنادِمهم ويسألونه عن ايام العرب وعلومها ويجزلون صِلتَه

٣) حرّ المتاع خيارُه والثمين منه

٤) العارية تمليك منفعة بلا بدل

فقال لهما حماد: قوما عنّي واخرُجا من مَنزِلي فشَر منكما مَن يُدخلكما بيتَه

٤٤ هو رابع اربعة ولدتُهم كانت هذه ميتتهم جميعاً

حدث عليُّ بن المفضَّل قال اصطبحنا يوماً انا و نُبَيه عند عُبَيد الله بن ابي غسان. فغنّانا نُبيه لحنَهُ

يا أيّها الرجُل الذي قد زانَ مَنطقَه البيانُ

فما سمعتُ احسن منه وكان صوتُنا عليه بقيّةَ يومنا ثم أردنا الانصراف. فسألَنا عُبيدالله أن نَبيت عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنبيه: اي شيءٍ تشتهي ان يُصلَح لك قال تشتري لي غزالًا فتُطعمني كبدَه كباباً وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحبّ. فقال: أفعل. فلمّا أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أحب فلمّا استوفى اكلَه استلقى لينام. فحرّكناه فاذا هو ميت فجزِعنا من ذلك وبعث عُبيد الله الى امّه فجاءت فاخبرها بخبره فلما رأته استرجعت[1] ثم قالت: لا بأس عليكم. هو رابع اربعة ولدتُهم كانت هذه ميتتَهم جميعاً ومِيتة أبيهم من قبلهم فسكنّا الى ذلك وغُسِل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلّي عليه ومضينا به الى مَقابرهم فدُفن هناك

إنَّ إخواناً لسياط[2] دعَوه. فاقام عندهم وبات. فأصبحوا فوجدوه ميّتاً في منزِلهم فجاؤوا الى أمّه وقالوا: يا هذه إنّا دعونا ابنك لنُكرمه

---

١) استرجعت قالت إنّا لله وإنّا اليه راجعون
٢) أُستاذ ابن جامع وابراهيم الموصلي

و نسر به ونأنس بقربه مات فجأةً وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ و نشدناكِ الله ألّا تعرضينا للسلطان او تدّعي فيه علينا ما لم نفعله . فقالت : ما كنتُ لأفعل وقد صدقتم . وهكذا مات ابوه فجأةً (قال) فجاءت معنا فحملته الى منزلها فأصلحت امره ودفنته

٤٥ صيهة اشدّ من هذا

اخبر اسحاق ان الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لُكنة[١] : ما تقول في ابن جامع . قال : زِقّ من أَسَل . يريد « من عَسَل » قال : فإبراهيم . قال : بُستان فيه فاكهة وريّان وشوك . قال : فيزيد حوراء . قال : ما أبيدَ أسنانه . يُريد « ما أبيضَ » . قال : فحُسين بن مُحرِز . قال : ما أهسن خظامه . يريد « ما أحسن خضابه[٢] » . قال : فسُلَيم بن سَلّام . قال ما انظف ثيابه .

وغنّى سُلَيم يوماً وبَرصوما يزمر عليه بين يدَي الرشيد فقصَّر سُلَيم في موضع صيحة . فأخرج برصوما الناي[٣] مِن فيه ثم صاح بهِ وقال له : يا أبا عبدالله صَيهة اشدّ من هذا صَيهة اشدّ من هذا [يريد صَيحة] . فضحك الرشيد حتى استلقى (قال) وما اذكر أني ضحكتُ قطّ اكثر من ذلك اليوم

---

١) اللُكنة عيٌّ وثقلٌ في اللسان
٢) الخضاب التلوين بالحنّاء
٣) الناي آلة طرَب يُنفَخ فيها

٤٦ اقضِ ثمن الغَنَم التي ابتعتَها مِني

إنَّ أمَّ جعفر لما أكثرَ الاحوص[1] في ذكرها جاءت مُنتقِبة[2] فوقفت عليه في مجلس قومهِ ولا يعرفها وكانت امرأةً عفيفة فقالت له اقضِ ثمن الغنم التي ابتعتها مني. فقال: ما ابتعتُ منكِ شيئاً فأظهرت كتاباً قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجةً وضرًّا وفاقةً وقالت يا قوم كلّموه. فلامَهُ قومهُ وقالوا: اقضِ المرأةَ حقَّها فجعل يحلف انه ما رآها قطُّ ولا يعرفها فكشفت وجهَها وقالت: ويحك اما تعرفني فجعلَ يحلف مُجتهدًا أنه ما يعرفها ولا رآها قط حتى اذا استفاض قولُها وقولهُ واجتمعَ الناسُ وكثُروا وسمعوا ما دار وكثُر لَغَطهم[3] واقوالهم قامت ثم قالت: أيُّها الناس أسكتوا ثم اقبلت عليه وقالت يا عدوَّ الله صدقتَ. واللهِ ما لي عليكَ حقٌّ ولا تعرفُني وقد حلفتَ على ذلك وانت صادق وأنا أمُّ جعفر. وانتَ تقول قلتُ لأمِّ جعفر وقالت لي امُّ جعفر في شِعرك. فخجل الاحوص وانكسَر عن ذلك وبَرِئتْ عِندهم

١) الاحوص الأنصاريّ اسمه عبدالله بن محمّد لُقّب الاحوص لحوَص كان في عينيه. وكُنيتهُ ابو محمّد وكان احمر. وجعلَ محمّد بن سلام الاحوص وابن قيس الرقيات ونصيباً وجميل بن معمر طبقة سادسة من شعراء الاسلام وجعله بعد ابن قيس وبعد نُصَيب والاحوص لولا ما وضعَ به نفسه من دَنيّ الاخلاق والافعال اشدّ تقدّمًا منهم عند جماعة اهل الحجاز واكثر الرُّواة وهو اسمح طبعًا واسهل كلامًا واصحّ معنىً منهم. ولشعرهِ رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المروءة والدين هجّاءً للناس

٢) النِقاب ما تستر به المرأة وجهها

٣) اللغط الاصوات المبهمة

٤٧ عَلامَ يُعطونه هذه العطايا المُسرِفة

كان خَبَرُ حَكَم الوادي[1] يَتَناهى الى المنصور ويَبلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عَليّ فيَعجَب لذلك ويَستسرفه[2] ويقول. هل هو إلَّا أن حسَّنَ شِعرًا بصوته وطرَّبَ مُستمعيه. فاذا يكون. وعَلامَ يُعطونه هذه العطايا المُسرفة إلى ان جلس يومًا في مُستَشرَفٍ له وقد كان حَكَمٌ دخل الى رجلٍ من قُوّاده (أراهُ قال: عليُّ بن يَقطين او ابوه) وهو يراه. ثم خرج عشيًّا وقد حَملَه على بغلة له يعرفها المنصور وخلعَ عليه ثيابًا يعرفها له. فلمّا رآه المنصور قال: مَن هذا فقيلَ: حكَم الوادي. فحرَّك رأسه مَليًّا ثم قال: الآنَ علِمتُ ان هذا يستحِقّ ما يُعطاه. قيل: وكيف ذلك يا اميرَ المؤمنين وانتَ تنكر ما يبلغك منه. قال: لانّ فُلانًا لا يُعطي شيئًا من مالهِ باطلًا ولا يضعه الّا في حقّه

٤٨ رُبّما ترنّمتُ به وانا جائع فأَشبَع وكسلان فأَنشَط

حدث عمر الوادي قال: بينا انا أسير بين العَرْج والسُّقيا[3] سمِعت إنسانًا يغنّي غِناءً لم اسمع قطّ احسن منه وهو:

---

١) حكم الوادي هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان ابوه حلّاقًا يحلق رأس الوليد فاشتراه فأعتقهُ. وكان حكم طويلًا احول يكري الجمال ينقل عليها الزيت من الشام الى المدينة ويكنى ابا يحيى. كان واحد دهرهِ في الحذق وكان ينقر بالدفّ ويغني مرتجلًا وعمّر عمرًا طويلًا غنّى الوليد بن عبد الملك وغنى الرشيد ومات في الشطر من خلافته

٢) يستسرفه يجده مجاوزًا الحد في النفقة وتبذيرًا

٣) العرج والسُّقيا بين مكة والمدينة

وكنتُ اذا ما جئتُ سُعدى بأرضها أرى الارضَ تُطوى ويدنو بعيدُها
مِن الخفِرات البيض وَدَّ جليسُها إذا ما انقضَت أُحدوثةٌ لو تُعيدها

فكِدتُ اسقط عن راحلتي طرباً . فقلت: واللهِ لأَلتمسنَّ الوصولَ الى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبطتُ من الشرَف فاذا انا برجل يرعَى غنماً واذا هو صاحب الصوت. فأعلمتهُ الذي اقصدني اليه وسألته إعادتهُ عليّ. فقال: واللهِ لو كان عندي قِرًى ما فعلت ولكني أَجعلُه قِراك فربما ترنَّمت به وانا جائع فاشبع وكسلان فأنشط ومُستوحِش فآنَس. فأعادَه عليَّ مِرارًا حتى اخذته. قال: فما كان زادي حتى ولجتُ المدينةَ غيره. وجربتُ ما وصفهُ الراعي فيه فوجدته كما قال

٤٩ قد أفنى الكِلاب

كان سبب عزل العُثماني أنَّ ابن جامع[١] سألَ الرشيدَ أن يأذَن له في المُهارشة بالدُّيوك والكِلاب ولا يُحَدّ في النبيذ فأذِن له وكتب له بذلك كتاباً الى العثماني فلما وصل الكتاب قال: كذَبتَ اميرُ المؤمنين لا يُحِلُّ ما حرم الله وهذا كتاب مزوَّر والله لَئن ثَقِفتك[٢]

---

١) ابن جامع المُغنّي هو اسمعيل بن جامع من بني سهم من قُريش ويُكنى ابا القاسم كان حسنَ السمت كثير الصلاة قد اخذ السجود جبهته وكان يعتمّ بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباسَ الفقهاء. وكان ينزل مكة. وفاتحهُ يومًا ابو يوسف القاضي الفقه والحديث فوجد عنده ما احبّ فأُعجب به . قال ابن جامع لولا انَّ القمار وحبّ الكلاب قد شغلاني لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز (راجع الرنّات ١: ٢٥٢)
٢) ثقِفتك أدركتك

على حال من هذه الأَحوال لأُودبنَّك أدبَك . (قال)فحذره ابن جامع . ووقع بين العثماني وحمَّاد اليزيدي وهو على البريد ما يقع بين العُمَّال فلمّا حجَّ هارون قال حماد لابن جامع : أَعِنّي عليه حتى أَعزِله . قال : أَفعل . قال : فابدأ انت وقل : انّه ظالم فاجر واستشهدني . فقال له ابن جامع : هذا لا يُقبَل في العثماني ويفهم امير المؤمنين كذبنا . ولكني أَحتال من جهة أَلطف من هذه قال : فسأله هرون ابتداءً فقالَ له : يا ابنَ جامع كيف اميركم العثماني . قال : خيرُ أميرٍ واعدلُهُ وافضلُه واقومهُ بحق لولا ضعفٌ في عقله . قال : وما ضعفه قال : قد أفنَى الكلاب قال : وما دعاه الى إفنائها . قال : زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفَّان يوم أُلقي على الكناس فأكلَ وجهه فغضب على الكلاب فهو يقتلُها فقال هذا ضعيف اعزلوه . فكان سبب عزلهِ

٥٠ ما نصنعُ المديح الّا على قَدر الرجال

كانَ ابراهيم بن هِشام جبارًا وكان يقيم بلا إذن اذ كان على المدينة الأَشهُرَ . دخل نُصَيب على ابراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدة مدحه فيها . فأَراَ الناسُ مُمالحةَ نصيب فقالوا : ما احسن هذا يا أبا مِحجَن . أَعِد هذا البيت فقال ابراهيم : اكثرتم . ما هذا بشيء . اين هذا من قول ابي دعبل لصاحبنا ابن الازرق حيث يقول :

إن تَغدُ مِن مَنقَلَيْ نجرانَ مُرتحِلًا يَبِنْ من اليمن المَعروفُ والجودُ[1]

فغضِبَ نصيب وحَمي فنزع عمامته وطرحها وبرك عليها ثم قال : إنّا

---

١) المنقل الثنيَّة اي الطريق في الجبل والمنى : إن تركتَ نجران زال عن اليمن المعروف والجود

واللهِ ما نصنع المديحَ الّا على قَدْر الرجال كما يكون الرجلُ يُمدَح فعمَّ الناسَ الضحِكُ. وحلُم عنه. وقال الحاجب: ارتفعوا. فلما صاروا في السقيفة ضحكوا وقالوا أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الاسود على هذا الجبَّار. وحلُمَ من غيرِ حِلم

٥١ وَثَبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كُمِّهِ

حدّث ابو خالد الخزاعيّ الاسلمي قال: كان سبب خروج دعبل[1] ابن عليّ من الكوفة انّه كان يتشطَّر ويصحَب الشُطَّار[2]. فخرج هو ورجل من أشجَع فيما بين العشاء والعتمة فجلَسا على طريق رجل من الصَّيارفة وكان يروح كلَّ ليلةٍ بكسبِهِ الى منزله فلما طلع مُقبلًا اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمِّهِ فاذا هي ثلاث رمّانات في خرقة ولم يكن كيسه ليلتئذٍ معه ومات الرجل مَكانَه واستتر دعبل وصاحبه. وجدّ اولياء الرجل في طابهما وجدّ السلطان في ذلك. فطالَ على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة قال ابو خالد فما دخلها حتى كتبتُ اليه أعلِمهُ انه لم يبقَ من اولياء الرجل احد

---

١) دعبل ويُكنى ابا علي شاعر متقدّم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه احد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة أحسنَ اليه او لم يُحسِن ولا فلتَ منه كبير احد وكان شديد التعصب على النزارية للقحطانية. قال قصيدة يردّ فيها على الكميت بن زيد ويناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن: «ألا حييت عنا يا مَرينا» وناقضهُ ابو سعد المخزومي وكان دعبل من الشيعة. ولم يزل مرهوب اللسان وخائفًا من هجائه للخلفاء فهو دهرَهُ كلَّهُ هارب متوارٍ. وقصيدته: « مدارس آيات خلت من تلاوة » من احسن الشعر وفاخر المدائح ٢) الشطار اهل البطالة والفساد

٥٢ انتَ دَهرَكَ كُلّه شريد طريد

حدّث ابو خالد الخزاعي الاسلمي قال : قلتُ لدعبل ويحك قد هجوتَ الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ[1] الناسَ جميعاً فأنت دهرَكَ كلّه شريد طريد هارب خائف فلو كففتَ عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسِك فقال : ويحك إني تأملت ما تقول فوجدتُ اكثر الناس لا يُنتَفَعُ بهم الّا على الرَهبة ولا يُبالَى بالشاعر وإن كان مُجيدًا اذا لم يُخفْ شرُه . ولَمَن يتّقيك على عِرضه اكثر مِمَّن يرغب اليك في تشريفه وعُيوبُ الناس اكثر من مَحاسِنهم وليس كلّ من شرَّفتَه شَرُفَ . ولا كلّ من وصفتَه بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك فاذا رآكَ قد أوجعتَ عِرض غيرِه وفضحتَه اتقاك على نفسه وخاف من مِثلِ ما جرَى على الآخر . ويحك يا أبا خالد إن الهجاء المفرع آخذُ بضبع الشاعر من المَديح المضرع فضحكتُ من قوله وقلتُ هذا واللهِ مَقال مَن لا يموت حَتفَ أنفِهِ[2]

٥٣ لولا الهفوةُ لم احتَج الى العُذر

حدَّث زُبَير عن عمّه قال: كان أصاغِر ولد مروان في حُجر ابنه عبد العزيز بن مروان . فكتب عبد العزيز الى بِشر[3] كِتاباً وهو يومئذٍ على العِراق . فوردَ عليه وهو ثَمِلٌ وكان فيه كلامٌ أحفظَهُ[4] . فأمر بشر

---

١) كلّ مَن ادركته بمكروه فقد وترتَه اي جعلته يطالب بثأره
٢) أي لا يموت موتاً طبيعياً من غير قتل ولا ضرب . الحتف الموت
٣) بِشر اخو عبد العزيز . ٤) احفظه أغضبهُ

كاتِبَه فأجاب عبد العزيز جواباً قَبيحاً . فلماً وردَ عليه عَلِم أنه كتَبه وهو سكران فجفاه وقطعَ مكاتبتَه زماناً وبلغَ بِشراً عَتْبه عليه فكتب اليه : لولا الهفوة لم أَحتَجْ الى العذر ولم يكن لك في قبولهِ مني الفضل . ولو احتمل الكتاب اكثر مما ضمنته لزدتُ فيه وبقية الأكابر على الاصاغر من شِيَم الأكارم ولقد احسن مسكين الدارمي حين يقول :

أخاكَ اخاك إنَّ مَن لا اخا له كساعٍ الى الهَيْجا[1] بغيرِ سلاحِ
وانّ ابن عمّ المرءِ فاَعلم جَناُحه وهل ينهض البازي بغيرِ جناحِ

فلما وصل كتابه الى عبد العزيز دمعت عينهُ وقال : ان اخي كان مُنتَشياً[2] لما جرى منه ما جرى . فسَلُوا عمَّن شهدَ ذلك المجلس . فسُئِل عنهم فأُخبِر بهم . فقبل عذرَه وأَقسم عليه أن لا يعاشر احدًا من ندمائهِ الذين حضروا ذلك المجلس وأن يعزل كاتبَه عن كتابتِه ففعلَ

ما اتى عليه الَحوْل حتى برعَ

حدث الُحسَين بن عبدالله بن جَبَلة ابن أَخي عليّ بن جبلة قال كان لجدّي اولاد وكان عليّ[3] اصغرهم وكان الشيخ يرقّ عليه . فجُدِّرَ

---

١) الهيجا الحرب ٢) منتشياً اي سكران

٣) هو علي بن جبلة بن عبد الله الانباري ويكنى ابا الحسن ويلقب العَكوَّك وهو القصير الُملزَّز المقتدر الَخلْق من اهل بغداد وبها نشأ وكان ضريرًا . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مدَّاح حسن التصرُّف . وقد أَفرطَ في تفضيل ابي دُلَف خاصة حتى فضَّل من اجله ربيعة على مُضَر وجاوزَ الحدّ في ذلك

فذهبت احدى عينيه في الجُدَرِي ثم نشأ فأُسلِم في الكتَّاب فحذقَ بعضَ ما يَحذُقه الصبيان فحُمِل على دابّة ونُثِر عليه اللوز فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت. فقال الشيخ لولدهِ: انتم لكم أرزاق من السلطان فان أعنتموني على هذا الصبي وإلّا صرفتُ بعضَ ارزاقكم اليه. فقلنا: وما تريد. قال: تختلفون به الى مجالس الأدب. (قال) فكنّا نأتي بهِ مَجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان. فما أَتى عليه الحَوْل[1] حتى برع وحتى كان العالم اذا رآهُ قال لِمن حولهُ: أوسِعوا للبغوي وكان ذكيًّا مطبوعاً فقال الشعر. وبلَغَه انّ الناس يقصدون أبا دُلَف لجودهِ وما كان يُعطي الشعراء فقصدَه وكان يُسمَّى العكوَّك فأمتدحَه بقصيدة. فلمّا وصل الى ابي دلف وعِندَه مَن عِنده من الشعراء. وهم لا يعرفونه استرابوا بها فقال له قائده: انهم قد أتهموك وظنّوا ان الشعر لغيرك. فقال: ايها الامير إن المِحنة تُزيل هذا. قال: صدقتَ. فامتحَنوه فقالوا له صِف فرس الأمير وقد اجلناك ثلاثاً. قال: فاجعلوا معي رجلًا تثقون به يكتب ما اقول. فجعلوا معه رجلًا. فقال القصيدة في ليلته. (قال) فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشدهُ اياها استحسَنَها مَن حضر وقالوا: نشهد انّ قائل هذه قائل تلك. فاعطاه ثلاثين الف درهم

قال المأمون يوماً لبعض جُلَسائه: أُقسِم على مَن حضر ممَّن يحفظ قصيدة عليّ بن جبلة الاعمى في القاسم بن عيسى إلّا أنشدني اياها. فقال له بعض الجلساء: قد أقسمَ امير المؤمنين ولا بُدّ من إبرار قَسَمِهِ وما

---

١) الحول السنة

أحفظُها ولكنها مكتوبة عندي قال: قُم فجئني بها. فمضى واتاه بها فأنشده اياها. (قال) فغضب المأمون واغتاظ وقال لَستُ لأبي ان لم اقطع لسانَه او اسفك دَمَه[١]

قال ابن ابي فنن: وهذة القصيدة قالها عليّ بن ابي جبلة وقصد بها ابا دُلف بعد قتله الصُعلوك المعروف بقرقور وكان من اشدّ الناس بأساً واعظمهم فكان يقطع هو وغِلمانُه على القوافل وعلى القُرَى وابو دُلف يجتهد في امرِه فلا يقدر عليه. فبينا ابو دلف خرج ذاتَ يوم يتصيّد وقد امعن في طلب الصيد وحدَه اذا بقرقور قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الارض بجريه. فأيقن ابو دُلف بالهلاك وخاف أن يولّي عنه فيهلك فحمل عليه وصاح يا فتيان يَمنةً يَمنةً يُوهِمهُ أَنَّ معه خيلًا قد كمنها له. فخافه قرقور وعطف على يسارهِ هارباً. ولحقه ابو دُلف فوضع رمحه بين كتفيه فاخرجه من صدره ونزل فاحتزّ رأسه وحملهُ على رمحه حتى ادخله الكرج[٢] فلما انشده علي بن جبلة القصيدة استحسنها وسُرَّ بها وأمر له بمائة الف درهم.

قال بينا ابو دُلف يسير مع اخيه مَعقِل وهما اذ ذاك بالعِراق اذ مرَّ بامرأتين تتماشيانِ فقالت احداهما لصاحبتها: هذا ابو دلف. قالت: ومَن ابو دلف. قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

---

١) تجد هذه القصيدة في الصفحة ١٠٢ من الجزء الثامن عشر من الاغاني طبعة بولاق

٢) الكَرَج مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق وإلى همذان اقرب. واوّل مَن مصّرها ابو دلف القاسم بن عيسى وجعلها وطنه واليها قصده الشعراء

انّما الدنيا ابو دُلفٍ　　بين باديه و مُحتَضرِه
فاذا ولّى ابو دُلفٍ　　ولّت الدنيا على أثرِه

قال : فاستعبر ابو دلف حتى جرى دمعه　قال له معقل　ما لك يا اخي تبكي . قال : لأني لم اقضِ حق عليّ بن جبلة . قال : أوَ لم تعطهِ مائة الف درهم لهذه القصيدة . قال : والله يا اخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أني لم اكن اعطيته مائة الف دينار . واللهِ لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقَّه

٥٥　　هذه تُربتُك عن قليل

حدث مَيمون بن هارون قال : رأى الرشيد بما يرَى النائم كأنَّ امرأة وقفت عليه وأخذت كفّ تُراب ثم قالت : هذه تُربتك عن قليل . فأصبحَ فزعاً وقصّ رؤياهُ . فقال له اصحابه : وما هذا . قد يرى الناسُ اكثر مما رأيت وأغلظ ثم لا يَضُر . فركِبَ وقال : واللهِ إني لَأَرَى الامر قد قَرُب . فبينا هو يسير إذ نظر الى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظُر اليه . فقال : هذه والله المرأة التي رأيتها　ولو رأيتُها ألف مرَّةٍ ما خفِيَت عليّ . ثم أمرَها ان تأخذ كف تراب فتدفعه اليه　فضربَت بيدها الى الارض التي كانت عليها فأعطته منها كفّ تراب . فبكى ثم قال : هذه واللهِ التُّربة التي أُرِيتها وهذه المرأة بعينها . ثم مات بعد مدَّة فدُفِن في ذلك الموضع بعينه اشتُري له ودُفن فيه وأتى نعيه بغداد . فقال اشجع يرثيه :

غربَت بالمَشرِق الشمس م　فقُل　للعَينِ　تدمَعُ
ما　رأينا　قطُّ　شمساً　　غربت　من حيث تطلُعُ

٥٦ الجَوَادُ عَينُه فُرارُه[١]

حدَّث اسحاق الموصلي قال: لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم معه رُجل ما شِئْتَ من رجلٍ عقلًا و نُبلًا ودِيناً وأدباً وسكوناً ووقارًا. وكان أبوهُ قبلَه كذلك. وقدم معه اخوهُ عبدالله فلما وصلا الى الرشيد وجلَسا معنا تخيَّلتُ في الزبير الفضل فقلتُ لأبي يا أبتِ أخلِق الزبير أن يكون افضلَ من أخيه فقال هذا لا يجيء بالظنَّ والتخيُّل. والجواد انما يُمتحَنُ في الميدان. فقلت له: فالجواد عينه فراره[١] فضحِك وقال: ننظرُ في فِراستكَ فلما غنيا بان فضلُ الزبير وتقدُّمه فاصطفاه ابي واصطفيتُه لأَنفُسِنا وقرّظناه ووصفناه وصار في حَيّزِنا وغنَّى الرشيدَ غِناءً كثيرًا من غِناء المتقدّمين فأجاد وأَحسنَ. وسأَلهُ الرشيد أن يُغنّيه شيئاً من صنعته فالتوى بعض الالتواء[٢] وقال: قد سمع امير المؤمنين غِناء الحذَّاق من المتقدمين وغناء مَن بحضرته مِن خَدَمِهِ ومن وفدَ عليه من الحجازيّين. وما عسى ان يأتي من صنعتي فاقسَم عليه ان يغنِيهِ شيئاً من صنعته وجَدّ به في ذلك فكان أول صوتٍ غنَّاه منها:

إرحلا صاحبَيَّ حانَ الرَّحيلُ وابكياني فليس تبكي الطُّلولُ[٣]
قد تولَّى النهار وانقضتِ الشمس م عيناً وحانَ منها أفولُ[٤]

---

١) فَرَّ الدابّة كشف عن اسنانها لِيرَى ما سِنُّها. وهو مثَل: أي يُغنيك شخصُه ومنظره عن ان تختبره كما تعرف سِنَّ الدابة اذا فرَرتها
٢) اي تثاقلَ وتمنّع بعض التمنُّع
٣) الطلول ما شخص من آثار الدّيار ٤) أَفلتِ الشمسُ غابت

فسمعتُ واللهِ صنعة حسنة مُتقَنة لا مَطعَن عليها. فطرب الرشيد واستعادَه هذا الصوتَ ثلاث مرات وأمر له بثلاثين الف درهم ولأخيه بعشرين الف درهم. ثم لم يزل زبير معنا كواحدٍ منا. وانحاز عبدالله الى جنبة ابراهيم بن المهدي فكان معه قال حماد: فقلتُ لأبي: فكيف كانت صنعة عبدالله قال: انا اجملُ لك القول لو كان زبير مملوكاً لاشتريته بعشرين الف دينار ولو كان عبد الله مملوكاً ما طابت نفسي على أن أشتريه بأكثر من عشرين دينارًا. فقلتُ: قد أجبتَني بما يكفيني

٥٧ مَرعَى ولا كالسّعدان[1]

لما وجَّه الفضلُ بن يحيي الوفدَ من خراسان الى الرشيد يحضّونه على البيعة لابنه محمد فعذلهم الرشيد. وتكلّم القوم على مَراتبهم وأظهروا السُّرور بما دعاهم اليه من البَيعة لابنه وكان فيمَن حضر محمّد ابن ذُوَيب العماني فقام بين صفوف القُوَّاد ثم انشأ يقول ارجوزة . . فلما فرغ من ارجوزته قال له الرشيد: أبشِر يا عمَّانيّ بولاية محمد[2] العهد. فقال: اي والله يا اميرَ المؤمنين بُشرى الارض المُجدِبة بالغيث والمرأة النَّزور[3] بالولد والمريض المُدنف بالبُرء قال: ولمَ ذاك. قال: لانه نَسِيج وحدهِ وحامي مجده ومُوري زَندِهِ قال: فما لك في عبدالله[4] قال: مرعى ولا كالسعدان فتبسّم الرشيد وقال: قاتلَه الله من أعرابي ما

---

١) السعدان من اطيب مراعي الابل ما دام رَطباً . والابل تسمن على السعدان وتطيب عليه ألبانها واحدته سعدانة

٢) محمّد هو الامين ٣) النزور القليلة الولد

٤) عبدالله هو المأمون

اعرفه بمواضع الرغبة واسرعه الى اهل البذل والعائدة وابعده من اهل الحزم والعزم والذين لا يُستمنَح ما لديهم بالثناء . اما واللهِ اني لأعرف في عبدالله حزم المنصور ونُسكَ المَهديّ وعزّ نفس الهادي ولو أشاء ان أنسبَهُ الى الرابعة لنسبتُه اليها

٥٨ سخنَت عينك في اي شيء أنتَ مماّ يُستحسَن

حدّث شيخ من اهل المدينة قال : كانت في المَدينة عجوز شديدة العين لا تنظر الى شيء تستحسنهُ الّا عانتهُ[1] . فدخلت على اشعب وهو في الموت وهو يقول لبنتهِ : يا بُنيَّة اذا متّ فلا تندُبيني والناس يسمعونك فتقولين وا ابتاه أندبك للصوم والصلوات وأندبك للفقه والقراءة فتكذّبكِ الناس ويلعنوني والتفتَ اشعب فرأى المرأة فغطّى وجهه بكُمهِ وقال لها : يا فلانة ان كنتِ استحسنتِ شيئاً مما انا فيه فصلّي على النبي صلعم لا تهلكيني . فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك في اي شيء انت مما يُستحسَن انت في آخر رمَق . قال : قد علمتُ ولكن قلتُ لئلّا تكوني قد استحسنتِ خفّة الموت عليّ وسهولة النزع فيشتدّ ما انا فيه . وخرجَتْ من عنده وهي تشتمه . وضحِك كلّ مَن حولهُ من كلامه ثم مات

٥٩ هيلَانة لا تأخذ الصوت وتضربني انا

حدّث ابو بكر الربيعي قال : حدّثتني عمتي وكانت رَبِيت في دار عمتها عبدالله بن العباس قالت كان عبدالله لا يفارق الصَبُوح ابدًا الّا

---

[1] عانته اي اصابته بالعين

في يوم جمعة او شهر رمضان واذا حجَّ وكانت له وصيفة يقال لها هيلانة قد ربَّاها وعلّمها الغناء. فأذكره يوماً وقد اصطبح وانا في حُجره جالسة والقدَح في يدِه اليُمنَى وهو يُلقي على الصبيَّة صوتاً اوّلُه:

صدعَ البينُ الفُؤادَا   اذ به الصائح نادى

فهو يردّده ويُومي بجميع اعضائهِ اليها يفهّمُها نغمَه ويوقّع بيدِه على كتِفي مرّةً وعلى فخِذي اخرى وهو لا يَدري حتى أوجعَني. فبكيتُ وقلتُ: قد اوجعتني مما تضربُني هيلانة لا تأخذ الصوتَ وتضربني انا. فضحِك حتى استلقى واستملح قولي فوهب لي ثوب قصَب اصفر وثلاثةَ دنانير جُدُدًا فما انسَى فرحي بذلك وقيامي بهِ الى أُمّي وانا اعدو إليها وأضحكُ فرحاً بهِ

٦٠ أيّ غَناء يكون عند الرجل الحاسر الاعزل

قال بكر بن النطّاح[1] قصيدته التي أولها قوله

هنيئاً لإِخواني ببغداد عيدُهم   وعيدي بحُلوان قِراعُ الكتائبِ

وأنشدَها ابا دُلَف فقال له: إنك تُكثِر وصف نفسِك بالشجاعة وما رأيتُ لذلك عندك أثرًا قطّ ولا فيك. فقال له: ايها الامير واي غَناء يكون عند الرجل الحاسِر الاعزل[2] فقال: اعطوه فرساً وسيفاً

---

١) بكر بن النطاح الحنفي ويُكنى ابا وائل وكان صعلوكاً يُصيب الطريق ثم أقصَر عن ذلك فجعله ابو دُلف من الجند وجعل له رزقاً سلطانياً وكان شجاعاً بطلًا فارساً شاعرًا احسنَ الشعر والتصرُّف فيه كثير الوصف لنفسِهِ بالشجاعة والاقدام

٢) الحاسر الرجل لا درع عليه ولا بيضة على رأسه والاعزل الذي لا سِلاح معه

ودرعاً ورمحاً فأعطوه ذلك اجمع فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه فلقيَه مال لأَبي دُلف يُحمَل من بعض ضياعهِ فاخذَه وخرج جماعة من غِلمانه فمانعوه عنه . فجرحهم جميعاً وقطعَهم وانهزموا وسار بالمال فلم ينزل الّا على عشرين فرسخاً . فلما اتّصل خبره بأبي دلف قال : نحنُ جَنينا على انفسنا وقد كنا أغنياء عن هيج ابي وائل ثم كتب اليه بالأمان وسوَّغه المال وكتب اليه : سِرْ إلينا فلا ذنب لكَ لأنّا نحن كنّا سبب فعلِك بتحريكنا إياك وتحريضنا فرجع ولم يزل معه حتى مات

٦١ يا أبةِ الى بيتنا والله يذهبون بهذه الجِنازة

حدَّث عبد الرحيم بن احمد قال إنَّ ابن درَّاج صار الى باب عليّ ابن زيد أيامَ كان يكتب للعباس بن المأمون . فحجبَه الحاجب وقال : ليس هذا وقتك قد رأيتَ القوَّاد يُحجَبون فكيف يُؤذَن لك انت قال : ليست سَبيلي سبيلهم لِأنه يحبّ ان يراني ويكره أن يراهم . فلم يأذَن له . فبينا هما على ذلك اذ خرج عليُّ بن زيد فقال : ما منعَك يا ابا سعيد أن تدخل . فقال : منعني هذا البغيض . فالتفت الى الحاجب فقال : بلغَ بك بغضُك ان تحجُب هذا . ثم قال : يا أبا سعيد ما اهديت إليّ من النوادر قال : مرّت بي جنازة ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكيه وتقول : بكَ يذهبون الى بيتٍ لا فِراش فيه ولا وطاء ولا ضِيافة ولا غطاء ولا خبز ولا ماء فقال لي ابني يا أبةِ الى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت له : وكيفَ ويلك قال : لان هذه صِفة بيتنا

فضحك عليّ وقال : قد امرتُ لك بثلاثمائة درهم قال : قد وفر الله عليك نِصفَها على أن اتغدّى معك . (قال) وكان عثمان مع تطفيله اشره َالناس . قال : هي عليك موفَّرة وتتغدّى معي . وعُثمان بن دراج الذي يقول

لذّةَ التطفيل دُومي وأقيمي لا تَريمي

انتِ تشفِين غليلي وتسلّين هُمومي

٦٢ الحمد لله الذي مَسخَك كلباً وكفاني حَرباً

كان لابي حيّة سيف يسمّيه لُعاب المَنيّة ليس بَينه وبين الخشبة فرق . وكان من اجبن الناس . (قال) فحدّثني جارٌ له قال : دخل ليلةً الى بيته كلبٌ فظنّه لِصًّا . فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفَه لُعاب المنية وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : ايّها المُغترّ بنا والمجترئ علينا بِئس والله ما اخترتَ لِنفسك خير خليل وسيف صَقيل لعاب المنيّة[1] الذي سمعتَ به مشهورةٌ ضربتُهُ لا تخاف نبوته أخرُج بالعفو عنك قبلَ أن أَدخل بالعقوبة عليك اني واللهِ إن أدعُ قيساً اليك لا تقُمْ لَها وما قيس . تملأُ والله الفَضاءَ خيلًا ورجلًا . سُبحان الله ما اكثرها وأطيبها . فبينا هو كذلك اذا الكلبُ قد خرج . فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً

٦٣ إنزَعوا خُفَّيه فنزعا فحشاهما دنانير

لما حجّ الرشيد لَقِيه قبل دخوله مكّة رجلان من قريش . فانتسب له احدُهما ثم قال : يا امير المؤمنين نهكتنا النوائب . وأجحفت بأحوالنا

---

١) لعاب المنيّة اي يسيل منه الموت

المصائب. ولنا بكَ رحمٌ انتَ اولى مَن وَصلَها وأملٌ انت أحقّ مَن صدَّقه فما بعدكَ مَطلب ولا عنك مَهرب ولا فوقك مَسئول ولا مثلك مأمول. وتكلَّم الآخر فلم يأت بشيءٍ فوصلَهما وفضَل الاوّل تفضيلًا كثيرًا. ثم اقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل

لَشتَّانَ ما بين اليزيدَينِ في النَّدَى يزيد سُلَيمٍ والأَغرِ بنِ حاتمِ

لمّا هجا ربيعة الرقّي[1] يزيد بن أُسيّد السُّلَمي وكان جليلًا عند المنصور والمَهدي وفضَّل عليه يزيد بن حاتم قُلتُ لربيعة: يا أبا أُسامة ما حمَلك على أن هَجوتَ رجلًا من قومك وفضّلتَ عليه رجلًا من الأزد فقال: أُخبرُك. املقتُ[2] فلم يبقَ لي الّا داري فرهنتُها على خمسمائة دِرهم ورحلتُ إِليه الى ارمينية فاعلمتهُ بها ومدحته وأَقمتُ عنده حولًا فوهبَ لي خمسمائة دِرهم. فتحمّلتُ وصرتُ بها الى مَنزِلي. فلم يبقَ معي كبيرُ شيءٍ. فنزلتُ في دار بكِراء. فقلتُ: لو أتيتُ يزيد بن حاتم ثم قلت: هذا ابنُ عمّي فعل بي هذا الفعل فكيف بغيره. ثم حملتُ نفسي على أَن آتِيَه. فأُعلِم بمكاني فتركني اشهرًا حتى ضجرتُ. فاكريتُ نفسي من الحمالين وكتبتُ بيتًا في رقعة فألقيته في دِهليزه. والبيت:

أراني ولا كفران للهِ واجعاً بِخُفَّي حُنينٍ مِن يزيدَ بنِ حاتمِ

---

١) ربيعة الرقّي هو ربيعة بن ثابت الانصاري وكان ينزل الرقّة وبها مولدهُ ومنشؤهُ فأشخصهُ المهدي اليه فمدحه بعدّة قصائد واثابهُ عليها ثوابًا كثيرًا وهو من المكثرين المجيدين وكان ضريرًا. وانما اخمل ذكرَهُ واسقطه عن طبقته بُعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطةَ الشعراء ومع ذلك فما عُدم مفضِّلًا مقدِّمًا له

٢) أملقتُ افتقرتُ

فوقعَت الرقعة في يد صاحبه فأوصلها إليه من غير علمي ولا أَمري فبعثَ خلفي فلما دخلتُ عليه قال : هِيهِ أنشدني ما قلتَ فتمنَّعتُ فقال : والله لَتُنشدني . فأنشدته . فقال : والله لا تَرجع كذلك . ثم قال : إنزعوا خُفَّيه فنُزِعا فحَشاهُما دنانير وامرَ لي بغِلمان وجوارٍ وكُسًى ألا تَرَى لي أن أمدحَ هذا وأهجوَ ذاك . قلتُ بلى والله . وسار شعري حتى بلغ الخليفةَ فكان سبب دخولي إليه

قال دعبل : قلتُ لمروان بن ابي حفصة : مَن اشعرُكم جماعة المحدَثين يا ابا السمط . فقال : أَشعرُنا أَيسرُنا بيتاً فقلتُ : ومن هو قال : ربيعة الرَّقي الذي يقول :

لَشتانَ ما بين اليزيدَين في الندَى ... يزيد سليمٍ والاغر ابن حاتمِ

وبعد البيت الذي ذكرَه مروان :

يزيدُ سليمٍ سالمُ المالُ والغِنَى ... أخو الازد لِلأَموال غيرُ مُسالِمِ
فهمُّ الفتى الازديَّ إتلافُ مالهِ ... وهمُّ الفتى القيسي جمعُ الدراهمِ
فلا تحسبِ التمتام أَني هجوتُه ... ولـكنَّني فضّلتُ اهلَ المَكارمِ
فيا ابنَ أَسيدٍ لا تسامِ ابن حاتمٍ ... فتقرعُ إن ساميتَهُ سِنَّ نادمِ
هو البحرُ إن كلَّفتَ نفسَك خوضَهُ ... تَهالـكتَ في مَوجٍ لهُ مُتلاطمِ

٦٤ جمعَ ثمانين سَهماً فربطَها بوَتَر

جمع قيس بن عاصم ولدَه حين حضرته الوفاة وقال يا بَنيَّ اذا متُّ فسوِّدوا كِبارَكم ولا تسوِّدوا صِغاركم فيسفهُ[1] الناسُ كبارَكم

---

١) سوَّده جعلَه سَيِّدًا . يَسفَهُه ويُسفِّهه نسبه الى السفَه

وعليكم باصلاح المال فانّها منبهة للكريم ويستغنى به عن اللَّئيم واذا متُّ فادفنوني في ثيابي التي كنتُ اصلّي فيها واصوم وإياكم والمسئلة فانها آخر مَكاسِب العبد وان امرؤ لم يسأل الّا ترك مكسبَه واذا دفنتموني فأخفُوا قبري عن هذا الحيّ من بكر بن وائل فقد كانت بيننا خُماشات[1] في الجاهلية. ثم جمعَ ثمانين سهماً فربطها بوتَر ثم قال اكسروها. فلم يستطيعوا. ثم قال: فرِّقوا ففرَّقوا فقال اكسروها سهماً سهماً فكسروها. فقال: هكذا انتم في الاجتماع وفي الفُرقة

٦٥ تَوَجَّه الى عَدُوِّك فجَدُّك مُقبِل وجَدُّه مُدبِر

دخلَ أَعشَى بني أبي رَبيعة على عبد المَلِك وهو يَتردَّد في الُخروج لمحاربة ابن الزُّبَير ولا يجِدّ فقال له يا اميرَ المؤمنين ما لي أراكَ مُتلوِّماً[2] يُنهِضُك الحزمُ ويُقعِدك العَزم. وتهمّ بالإقدام وتَجنح[3] الى الإحجام. انفذ لنُصرتك وأمضِ رأيك وتوجّه الى عدوّك فجدُّك مقبل وجدُّه مدبر. وأَصحابهُ لهُ ماقتون ونحنُ لك محبُّون. وكلمتهم مُتفرّقة وكلمتنا عليك مجتمعة. والله ما تُؤتَى من ضعف جَنان ولا قِلّة أعوان. ولا يُثبِطك عنه ناصِح ولا يُحرّضك عليه غاشّ وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. فقال: هاتِها فانك تنطق بلسانٍ وَدُود وقلبٍ ناصِح

---

١) خُماشات اي جنايات وجراحات دون القتل وبقايا الذَّحل والعداوة والثأر

٢) التلوُّم الانتظار والتلبُّث

٣) جنحَ مالَ. أَحجمَ تأخّر ونكص

٦٦ جرَى ذِكرُ البرَامكة فوصفَهم الناس بالُجود

حدث ابو الشِبل البرجمي قال حضرت مَجلِس عُبَيدالله بن يحيي ابن خاقان وكان اليَّ محسناً وعليَّ مُفضلًا فجرى ذكر البرامكة فوصفهم الناس بالجود وقالوا في كرَمهم وجوائزهم وصِلاتهم فأكثروا. فقُمتُ في وسط المجلس فقلتُ لعُبيدالله ايها الوزير اني حكمتُ في هذا الَخطبِ حُكماً نظمتُه في بيتي شعر لا يقدر احد أن يرِدَّه عليَّ وانَّما جعلته شعرًا لِيَدور ويبقى. فيؤذن الوزير في إنشادِهما قال: قُل فرُبَّ صوابٍ قد قلتَه. فقلتُ:

رأيتُ عبيد الله افضل سُؤددًا وأكرم من فضلٍ ويحيي بن خالدِ
أُولئك جادوا والزمان مُساعدٌ وقد جادَ ذا والدهرُ غير مُساعِدِ

فتهلَّلَ وجهُ عبيدالله وظهرَ السرور فيه وقال أفرطتَ أبا الشبل ولا كلَّ هذا. فقلتُ: والله ما حابيتُك ايها الوزير ولا قلتُ الَّا حقًّا وأتبعني القومُ في وصفه وتقريظه. فما خرجتُ من مَجلسهِ إلَّا وعليَّ الخِلَع وتحتي دابَّة بسرجهِ ولجامهِ وبين يديَّ خمسة آلاف درهم

٦٧ اني لأَعرفُ دارَه وما هي إلَّا خصائص قصَب

لما هربَ ابن الزُبَير الى معاوية أحرقَ عبدَ الرحمن دارَه فتظلَّمَ منه وقال: أَحرقَ لي دارًا قد قامت عليَّ بمائة الف درهم. فقال مُعاوية: ما أعلمُ بالكوفة دارًا أُنفِق عليها هذا القدر فمَن يعرف صحَّة ما ادَّعيتَ. قال: هذا المُنذِر بن الجارود حاضِر ويعلَم ذلك. فقال معاوية

للمنذر : ما عندكَ في هذا قال: اني لم أَبَه [1] لنفقتهِ على داره ومبلغها ولكنّي لما دخلتُ الكوفة وأَردتُ الخروج عنها اعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن ابتاعَ له بها ساجاً [2] من البصرة ففعلتُ. فقال معاوية : إنَّ داراً أُشتُري لها ساج بعشرين الف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة الف درهم وأمر له بها . فلما خرجا أَقبلَ معاوية على جُلسائه ثم قال لهم ايُّ الشيخين عندَكم أَكذَبُ والله إني لأَعرفُ دارهُ وما هي الّا خصائص [3] قصَب ولكنَّهم يقولون فنسمَعُ ويخادعونا فننخَدِع. فجَعَلوا يعجبون منه.

٦٨ كنتُ جالِساً على بابي وانا محتاج الى درهم

قال المُفضّل الضَّبّي: كنتُ جالساً على بابي وانا محتاج الى درهم وعليَّ يومئذٍ عشرة آلاف درهم دَيناً اذ جاءَني رسول المهديَ فقال أَجِب الاميرَ. فقلتُ: ما بعثَ اليَّ في هذا الوقت إلّا بسعاية ساعٍ [4] وتخوَّفتُ لخروجي وكان معي ابراهيم بن عبدالله بن حَسَن فدخلتُ بيتاً لي فتطهَّرتُ ولبستُ ثوبَين نظيفين وصِرتُ اليه فلمّا مثلتُ بين يديه سلّمتُ فردَّ عليَّ وأَمرني بالجلوس. فلمّا سكنَ جأشي قال لي: يا مُفضَّل اي بيتٍ قالته العرب افخر. فتشكّكتُ ساعةً ثم قلتُ: بيت الخنساء وكان مُستلقِياً فاستوَى جالِساً ثم قال لي: واي بيتٍ هو. قلتُ قولها

وإنَّ صَخراً لَتأتَمُّ الهُداةُ بهِ كأنَّهُ عَلَمٌ في راسهِ نارُ

---

١) لم أَبَهْ لا أَعلمْ ٢) الساج الطيلسان الاسود

٣) الخُصّ بيت من قصب سُمي خُصاً لما فيه من الخصاص وهي التفاريج الضيّقة ٤) سَعَى به وَشَى ليؤذيهُ

فأومأ الى اسحق بن بزيع ثم قال له: قد قلتُ لك ذلك فقلتُ: الصواب ما قالهُ اميرُ المؤمنين ثم قال: حدِّثني يا مُفضَّل قلتُ: اي الحديث أعجبُ الى امير المؤمنين. فحدّثتُه حتى انتصفَ النهار ثم قال لي: يا مفضَّل أسهرني البارحة بيتا ابن مَطِير وأنشدَ البيتين:

وقَدْ تغدرُ الدُّنيا فيُضحِي فقيرُها غنيًّا ويغنى بعدَ بُؤسٍ فقيرُها
فلا تَقربِ الأمرَ الحرامَ فانَّهُ حلاوتُه تَفنَى ويبقَى مَريرُها

ثم قال: ألهذين ثالث يا مُفضَّل. قلتُ: نعم يا اميرَ المؤمنين. فقال: وما هو. فانشدتُه قوله:

وكم قد رأينا من تغيُّرِ عيشةٍ وأُخرَى صَفا بعد اكدرارِ غَديرُها[1]

وكان المهديّ رقيقاً فاستعبر ثم قال: يا مُفضّل كيفَ حالُك قلتُ: كيفَ يكون حال مَن هو مأخوذٌ بعشرةِ آلاف دِرهم فأَمر لي بثلاثين الف درهم وقال اقضِ دَينك وأَصلح شأنك فقبضتُها وانصرفتُ

٦٩ إذهَب فجِئني الساعةَ برأسِ جعفر بن يحيي

حدَّث من أثِقُ به عن مسرورِ الخادمِ أَنَّ الرشيدَ لَمّا أرادَ قتلَ جعفر بن يحيي لم يطلع عليه احد البتّة ودخلَ عليه جعفر في اليوم الذي قتلَهُ في ليلتهِ فقال له اذهب فتَشاغَلِ اليوم بمن تأنس بهِ واصطبح فانّي مُصطبحٌ مع الحرم فمضى جعفر وفعل الرشيدُ ذلك ولم يزل برُّ الرشيدِ وألطافهُ وتُحفه وتحياتهُ تتابعُ اليه لئلّا يستوحش فلمّا كان

1) الغدير النهر من ماء المطر

في الليل دعاني فقال لي: إذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيي. وضمّ اليَّ جماعةً من الغلمان فمضيتُ حتى هجمتُ عليه منزلهُ واذا ابو زكّار الاعمى يُغنّيهِ بقولهِ:

فلا تبعد فكلُّ فتًى سيأتي عليه الموتُ يطرقُ او يُغادي[1]

فقلتُ له: في المعنى ومثلهِ واللهِ جئتك فأجب فوثب وقال: ما الخبرُ يا ابا هاشم جعلني الله فداءك. قلتُ قد أُمرتُ بأخذِ راسك. فأكب على رجلي فقبّلها وقال: الله الله راجع اميرَ المؤمنين فيَّ. فقلتُ: ما لي الى ذلك سبيلٌ. قال: فأعهدُ. قلتُ: ذاكَ لكَ. فذهب يدخل الى النساء فمنعتهُ وقلتُ: اعهد في موضعك فدعا بدواة وكتبَ أحرُفاً على دهش ثم قال لي: يا أبا هاشم بقيت واحدة. قلتُ: هاتها. قال: خُذني معك الى امير المؤمنين حتى اخاطبَهُ. قلت ما لي الى ذلك سبيلٌ قال: ويلك لا تقتلني بأمرهِ على النبيذ. فقلت: هيهات ما شربَ اليوم شيئا. قال: فخذني واحبسني عندك في الدار وعاودهُ في امري. قلتُ: أفعلُ فأخذتهُ فقال لي ابو زكّار الاعمى: نشدتك الله إن قتلتَه إلّا ألحقتَني به. قلتُ له: يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مُختار. قال: وكيفَ أعيشُ بعدَهُ وحياتي كانت معهُ وبهِ وأغناني عمّن سِواه فما احبُّ الحياةَ بعده. فمضيتُ بجعفر ودخلتُ الى الرشيد فلمّا رآني قال اين رأسُه ويلك. فأخبرته بالخبر. فقال: واللهِ لئِن لم تجئني برأسِهِ الساعة لآخذنَّ رأسك. فمضيتُ اليه فأخذتُ راسهُ ووضعته بين يديه ثم اخبرته بخبره وذكرت

---

١) طرق اتى في الليل غادى اتى في الغداة

له خبر أَبي زكار الاعمى فلمَّا كان بعد مُدَّة أمرَني بإحضاره فأحضرتهُ فوصلَهُ وبَرّه وأَمر بالجراية عليه[1]

٧٠ ضربَهُ ضرباً مُبرِحاً وعقرَ عدّة من إبلهِ

كان عقيل بن علفة قد اطَّردَ بَنيهِ فتفرَّقوا في البلاد وبقي وحده ثم إنَّ رجلًا من بني صرمة يقالُ له بَجيل وكان كثير المال والماشية حطم بيوت عقيل بماشيته ولم يكن قبل ذلك احدٌ يقرب من بيوت عقيل إلّا لَقِي شرًّا فطردَت صافيةُ أَمَةٌ له الماشيةَ فضربها بجيل بعصا كانت معه فشجَّها فخرجَ اليه عقيل وحدهُ وقد هَرِمَ يومئذٍ وكبرت سِنُّه فزجرَهُ فضربَه بجيل بعصاهُ واحتقرهُ فجعلَ عقيل يصيحُ: يا علفة يا عملس يا فُلان يا فلان بأسماء اولادهِ مُستغيثاً بهم وهو يحسبهم لِهرمهِ انهم معه. فقال له ارطاة بن سُهيّة:

أَكلتَ بَنيك أَكلَ الضب حتى وجدتَ مَرارة الكلإِ الوَبيل
ولو كان الأُلى غابوا شُهودًا منعتَ فناءَ بيتك من بَجيلِ

وبلغ خبر عقيل ابنَه العملس وهو بالشام فأقبل الى أبيه حتى نزل عليه ثم عمد الى بجيل فضربه ضرباً مُبرحاً وعقر عدّة من إبله وأوثقه بحبلٍ وجاءَ به يقوده حتى أَلقاه بين يدي أبيه. ثم ركب راحلته وعاد من وقته الى الشام لم يطعم لأَبيه طعاماً ولم يشرب شراباً

٧١ انتبهَ الأَعرابي مُروَّعاً في الليل وهو يهذي

نزلَ أعرابيٌّ على المُتشمِّر بن عقيل بن علفة المُرّي فشربا حتى سَكِرا

---

١) اي ان يُجروا عليه الرزق

وناما . فأنتبه الاعرابي مروَّعاً في الليل وهو يهذي فقال له المقشعرّ: ما لك. قال: هذا ملك الموت يقبض رُوحي. فوثبَ ابن عقيل فقال: لا واللهِ ولا كرامةَ ولا نِعمة عَين لهُ أَيقبض روحك وانت ضيفي وجاري فقال بأبي أنتم وأمي طال واللهِ ما مَنعتم الضَّيم وتلفَّف ونام

٧٢ مات أبانا وخلَّفَ بَنون

اوَّلُ مَن وضعَ النحوَ ابو الاسود الدُّؤلي جاءَ الى زياد بالبصرة فقال له أَصلحَ اللهُ الاميرَ إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيَّرت أَلسنتهم أفتَأذَن لي أَن أَضع لهم عِلماً يُقيمون به كلامَهم قال: لا . (قال) ثم جاءَ زِيادًا رجلٌ فقال: ماتَ أَبانا وخلَّف بنون. فقال زياد: مات ابانا وخلَّف بنون ! رُدُّوا اليَّ أبا الاسود الدُؤلي. فرُدَّ اليه فقال: ضَع للناس ما نهيتك عنه. فوضع لهم النحو

٧٣ لَماَ أفدتك إِيَّاه في عَقابِك خيرٌ لك من مَال ابي الاسود

كانَ بين بني الدِّيل وبين بني ليث مُنازعة فقتلت بنو الديل منهم رجلًا ثم اصطلحوا بعد ذاك على أن يؤدّوا دِيته فاجتمعوا الى ابي الاسود يسألونه المعاونة على أدائها والحّ عليه غُلام منهم ذو بيان وعارَضه فقال له يا ابا الاسود انتَ شيخ العشيرة وسيّدهم وما يمنعك من معاونتهم قلّة ذات اليد ولا سؤدد. فلمَّا اكثر اقبلَ عليه ابو اسود ثم قال له قد اكثرتَ يا ابنَ اخي فاسمع مِني ان الرجل والله ما يُعطي مالَه إلَّا لاحدى ثلاث خِلال إمَّا رجل اعطى ماله رجاءَ

مُكافأة ممَّن يُعطيه . او رجل خاف على نفسه فوقاها بماله او رجل ارادَ وجه الله وما عنده في الآخرة . او رجل احمق خُدِع عن ماله ما انتم احد هذه الطبقات ولا جئتم في شيء من هذا ولا عمّك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ولَمّا أفدتك إياه في عقلك خيرٌ لك من مال ابي الاسود لو وصلَ الى بني الديل . قوموا اذا شئتم فقاموا يبادرون الباب

٧٤ لو لَزِمتَ مَنزِلك كان اودع لك

كان ابو الاسود الدُؤَلي قد أسنَّ وكان مع ذلك يركب الى المَسجِد والسوق ويزور اصدقاءهُ . فقال له رجل : يا أبا الاسود أراك تُكثر الركوب وقد ضعفتَ عن الحركة وكبرتَ ولو لزمت منزلك كان اودع لك فقال له ابو الاسود صدقت ولكن الركوب يشدّ اعضائي وأسمعُ من أخبار الناس ما لم اسمعه في بيتي استنشقُ الريح وألقى إخواني ولو جلستُ في بيتي لأغتمَّ بي أهلي وأنِس بي الصبي واجترأ عليَّ الخادم . وكلّمني مِن أهلي مَن يهاب كلامي لالفِهم إيّاي وجلوسهم عندي . حتى لعلَّ العَنزات تبول عليَّ فلا يقول لها احد هش [1]

٧٥ مر بهِ ذات يوم فتى فدعاه الى الغداء

كان ابو الاسود له على باب داره دُكان يجلس عليه مرتفع عن الارض الى قدر صَدر الرجل فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر

---

١) هشّ زجر لم يروها اللسان بل روى « هُسّ وهِسّ زجر للشاة » (ل ٨ : ١٢٥)

الدكان. فاذا مر به مارّ فدعاه الى الاكل لم يجد موضعاً يجلس فيه. فمرّ به ذات يوم فتى فدعاهُ الى الغداء. فأقبل فتناول الخوان فوضعه اسفل ثم قال له: يا أبا الاسود إن عزمتَ على الغداء فانزل. وجعل يأكل وابو الاسود ينظر اليه مغتاظاً حتى اتى على الطعام فقال له ابو الاسود: ما اسمُك يا فتى. قال: لُقمان الحكيم. قال: لقد اصاب أهلك حقيقة اسمك

٧٦ حملَ عبدة بن الطّبيب[1] دماً في قومه

كان بين قيس بن عاصم[2] وعَبدَة بن الطبيب لِحاء.[3] فهجرَهُ قيس ابن عاصِم ثم حمل عبدة دماً في قومهِ[4]. فخرج يسأل فيما تحمَّلَه فجمع إبلًا. ومرَّ بهِ قيس بن عاصِم وهو يسأل في الدِيَة. فقال: فِيمَ يسأل عبدة. فأُخبِر. فساقَ اليه الدية كاملة من مالهِ وقال: قولوا له ليستنفع بما صار اليهِ وَليُسق هذه الى القوم. فقال عبدة: أما والله لولا ان يكون صُلحي إياه بعَقِب هذا الفعل عارًا عليَّ لَصالحتُه ولكني أنصرفُ الى قومي ثم أعودُ فأُصالحهُ ومضى بالابل ثم عادَ فوجدَ قيساً قد مات فوقفَ على قبرِه وأنشأ يقول:

عَليكَ سلامُ الله قيسُ بنَ عاصِمٍ ورحمتُه ما شاءَ أن يترحَّما

---

١) عبدة بن الطبيب شاعر مُجيد ليس بالمكثر وهو مخضرم ادرك الاسلام وكان في جيش النعمان الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن

٢) قيس بن عاصم المِنقري ويُكنى ابا عليّ شاعر فارس شجاع حكيم كثير الغارات مُظفَّر في غزواته ادرك الجاهلية والاسلام فسادَ فيهما وهو احد مَن وأد بناتهِ وأسلمَ. وأد اي دفنها وهي حيّة

٣) اللحاء المُخاصمة

٤) حمل دمًا اي اخذ على نفسه ان يؤدي دِية لقومِ المقتول

تحيّة مَن اوليتَهُ مِنك نِعمةً اذا زارَ عن شَحطٍ[١] بلادَك سَلَّما
فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلكَ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهدَّما[٢]

٧٧ اصبحني قدحاً ثم قال زِدني

ان تاجرًا دبافيًا[٣] مرّ بحمل خمر على قيس بن عاصم فنزل به. فقال قيس: إصبحني[٤] قدَحاً ففعل. ثم قال له: زِدني فقال له: انا رجل تاجر طالبُ رُبحٍ وخيرٍ ولا أستطيع ان أسقيك بغيرِ ثمنٍ فقام اليه قيس فربطهُ الى دوحة[٥] في دارِهِ حتى أصبح. فكلّمتهُ اخته في أمره فلطمها وخمش وجهها وجعل يقول:

وتاجرٍ فاضِلٍ جاءَ الاله به كأنَّ عُثْنونَهُ[٦] أذنابُ أجمالِ

فلما أصبحَ قال: مَن فعل هذا بضيفي. قالت له اختُه: الذي صنع هذا بوجهي. انت والله صنعته. وأخبرته بما فعل فاعطى الله عهدًا ألّا يشرب الخمر ابدًا فهو اوّل عربي حرَّمها على نفسهِ في الجاهلية وقال في ذلك:

وجدتُ الخمرَ جامحةً وفيها خصالٌ تفضحُ الرجلَ الكريما
فلا واللهِ اشربُها حياتي ولا ادعو لها أبدًا نَديما
فانّ الخمرَ تفضحُ شاربيها وتجشمهم بها امرًا عظيما

١) الشحط البُعد
٢) قال الاصمعي ان هذا البيت هو أرثى بيت قالته العرب
٣) دبافيًا منسوب الى دباف قرية من قرى الشام
٤) الصبوح شرب الغداة وهو ضدّ الغبوق وهو شرب العشي
٥) دوحة شجرة عظيمة متسعة
٦) العُثنون هو شُعيرات تحت الشفة السفلى من الرجُل

٧٨ إفتح يا غُلام لأَبي سلَمة

كان بالبصرة طُفَيلي يُكنى أبا سَلمة وكان اذا بَلغهُ خبرِ وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنَيهِ معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة الرقاق فيقدّم ابنيه فيدقّ الباب احدهما ويقول : افتح يا غلام لأبي سَلَمة . ثم لا يلبث البواب حتى يتقدم الآخر فيقول : إفتح ويلك فقد جاء ابو سَلمة ويتلوهم فيدقون جميعاً الباب ويقولون : بادر ويلك فانّ ابا سلمة وبالباب . فإن لم يكن عرفهم فتح لهم وهابَ منظرهم . و إن كانت معرفته اياهم قد سبقَت لم يلتفت اليهم . ومع كل واحد منهم فِهْر[1] مدوَّر يسمُّونه كيسان فينتظرون حتى يجيء بعض مَن قد دُعي فيُفتَح له الباب فاذا فُتح طرحوا الفِهْر في العتبة حيث يدور الباب فلا يقدر البوّاب على غلقهِ ويهجمون عليه فيدخلون فأكل ابو سلَمة يوماً على بعض الموائد لُقمة حارّة من فالوذج وبلعها لِشدَّة حرارتها فجمعت احشاءه ذات على المائدة

٧٩ اشار عليه الطبيبُ يأكل جُمَّارًا

لمّا خرج الرشيد الى طُوس هاج به الدمُ بحُلوان فأشار عليه الطبيب يأكل جُمَّارًا[2] فأحضر دهقان[3] حلوان وطلب منه جُمَّارًا فأعلمهُ انّ

---

١) الفهر حجر يملأ الكفّ

٢) الجُمَّار جمع الجمارة وهي شحمة النخل التي في قمّة راسِهِ . تُقطع قمّته ثم تكشط عن جمارةٍ في جوفها بيضاء ضخمة ورخصة من يأكل منها يجد في طعمها ذوق اللوز

٣) الدهقان فارسي معرّب يراد به التاجر

بلَده ليس بها نخل ولكن على العقبة نخلتان فمُر بقطع إحداهما . فقُطعت فأُتي الرشيد بجمارتها فاكل منها وراح فلما انتهى الى العقبة نظر الى احدى النخلتين مقطوعة والأُخرى قائمة . واذا على القائمة مكتوب :

أَسعِداني يا نخلتَي حُلوانِ[1] وابكيا لي من رَيبِ هذا الزمانِ
أسعداني وأيقِنا أنَّ نحساً سَوفَ يلقاكُما فتفترِقان

فاغتمَّ الرشيد وقال : يعزُّ عليَّ ان اكون نحستكما ولو كُنتُ سمعتُ بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدمُ

٨٠ اتبيعني القصيدة حتى أنتحلها

اجتاز مَروان بن ابي حفصة[2] برُجل من باهلة من أهل اليَمامة وهو ينشد قوماً كان جالِساً اليهم شِعراً مدحَ به مَروان بن محمَّد واتَّه قُتل قبل ان يلقاه وينشده اياه . أوَّلهُ :

مَروان يا ابن محمَّدٍ انت الذي زِيدت به شرفاً بنو مروانِ

فأَعجبته القصيدة . فأمهلَ الباهليّ حتى قام من مجلِسِه ثم أتاه في منزلِهِ فقال له إِني سمِعتُ قصيدتك وأَعجبتني مروان قد مضى ومضى اهلهُ . وفاتك ما قد رُمتَهُ عنده . أفتبيعُني القصيدة حتى أنتحلها[3] . فاتّه

---

١) حلوان العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد (راجع في ياقوت ٢ : ٣٢١-٣٢٦) القصيدة في نخلتي حلوان واختلاف الرواية . والعقبة عقبة حلوان

٢) مروان بن ابي حفصة كان ابن الاعرابي يختم به الشعراء وما دوَّن لأحد بعدهُ شعرًا . مدح معن بن زائدة فاحسنَ ومدح المهدي والرشيد وكان بخيلًا (راجع عن بخله الرنات ١ : ٢١٠)

٣) انتحلها أدّعيها لي

خيرٌ لك من أن تبقى عليك وأنتَ فقير . قال : نعم . قال : بِكم . قال : بثلاثمائة دِرهم . قال : قد ابتعتُها فاعطاهُ الدراهم وحلَّفه بالطلاق ثلاثاً وبالأَيْمان المُحرّجة[1] ان لا ينتحلَها ابدًا ولا يَنسبَها الى نفسهِ ولا ينشدَها . وانصرفَ بها الى مَنزلهِ فغيَّر منها ابياتاً وزاد فيها وجعلها في مَعْن وقال في ذلك البيت

معنُ بن زائدةَ الذي زِيدت به شرفاً الى شرفٍ بنو شَيبانِ

ووفد بها الى معن بن زائدة فملأ يديه واقام عنده مدَّة حتى أثرى واتَّسعت حاله . فكان معن اول من رفع ذِكرَه ونوَّه به . (قال) وله فيه مَدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة

٨١ تَبِعَني اسود متقلّدًا سيفاً . وقال انتَ طلبة امير المؤمنين

حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صَدِيقاً قال كان المنصور قد طلب مَعن بن زائدة طلباً شديدًا وجعل فيه مالًا . فحدَّثني معن بن زائدة باليمَن انه اضطرّ لِشدّةِ الطلَب إلى أن اقامَ في الشمس حتى لوَّحت وجهه وخففت عارضَيه ولحيته ولبس جبّة صوف غليظة وركب جمَلًا من الجمال النقّالة ليمضي الى البادية فيقيم بها وكان قد أَبلى في حرب يزيد بن عمر بن هُبيرة بَلاءً حسَناً غاظ المنصور وجدّ في طلبه . قال معن : فلما خرجتُ من باب حرب[2] تبعني اسود متقلدًا سيفاً حتى اذا غِبتُ عن الحرَس قبض على خِطام جملي فأناخهُ وقبض عليَّ فقلتُ له : ما لك قال : انتَ طلبة أمير المؤمنين قلتُ ومن أنا حتى يطلبني امير المؤمنين

---

١) المحرّجة اي المُضيّقة طريق الحالف ٢) باب حرب ببغداد

قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا اتقِ الله وأين انا من معن قال: دَعْ هذا عنك فأنا والله أعرَفُ بهِ مِنك فقلت له: فان كانت القصّة كما تقول فهذا جوهر حملتُه معي يَفي بأضعاف ما بذلَه المنصور إن جاء بي فخُذه ولا تسفك دَمي. قال: هاته. فاخرجته اليه. فنظر اليه ساعةً وقال: صدقتَ في قيمته ولستُ قابله حتى اسألك عن شيء. فإن صدقتني اطلقتك. فقلت قُل. قال: إنّ الناس قد وصفوك بالجود فأخبِرني هل وهبتَ قط مالك كلَّه قلتُ: لا. قال: فنصفه. قلتُ: لا قال: فثُلثه. قلتُ: لا. حتى بلغ العُشر. فاستحييت فقلت: اظنّ اني قد فعلت هذا فقال: ما أراك فعلته. أنا والله راجل ورزقي من ابي جعفر عشرون درهماً وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير وقد وهبتُه لك ووهبتك لنفسك ولجُودك المأثور عنك بين الناس ولتعلم انّ في الدنيا اجود منك فلا تعجبك نفسُك ولتحقر بعد هذا كلَّ شيء تفعلُه ولا تتوقّف عن مَكرُمة ثم رمى بالعقد في حِجري وخلّى خطام البعير وانصرف. فقلتُ: يا هذا قد واللهِ فضحتني ولَسفكُ دمي أهونُ عليَّ مما فعلتَ فخُذ ما دفعتُه اليك فاني غنيّ عنه فضحك ثم قال اردتَ أن تكذّبني في مَقامي هذا والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً ابدًا ومضى فوالله لقد طلبتُه بعد أن أمِنتُ وبذلتُ لِمن جاءني به ما شاء فما عرفتُ له خبرًا وكأنّ الارض ابتلعته

٨٢ تَنح فانّي أحق بالاجام منك في هذا الوقت

كان سببُ رِضا المنصور عن معن انه لم يزل مُستترًا حتى كان يومُ الهاشميَّة فلما وثبَ القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثبَ معن وهو

مُتلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بَلاء حسناً وذبَّ القوم عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعد. ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجامُها بيدِ الربيع. فقال له: تنحَّ فاني احق باللجام منك في هذا الوقت واعظم فيه غناء. فقال له المنصور صدق فادفعهُ اليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال. فقال له المنصور: مَن انتَ لله ابوك. قال: انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة قال: قد آمنك الله على نفسك ومالِك ومِثلُك يُصطنَع. ثم اخذه معه وخلع عليه وحَباه وزيَّنهُ. ثم دعا به يوماً فقال له: إني قد أمَّلتك لأمرٍ فكيف تكون فيه. قال: كما يحبّ أميرُ المؤمنين. قال: قد ولّيتك اليمَن فابسِط السيفَ فيهم حتى يُنقَض حِلف ربيعة واليمن. قال أبلغُ من ذلك ما يحبّ امير المؤمنين فولّاه اليمن وتوجَّه اليها فبسط السيفَ فيهم حتى اسرف قال مروان: وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور. فقال له بعد كلام طويل: قد بلغَ امير المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانك عندَهُ ورأيه فيك لغضب عليك. قال: وما ذاك يا امير المؤمنين فوالله ما تعرضت لك منك قال إعطاؤك مروان بن ابي حفصة ألف دينارٍ لقولهِ فيك:

معن بن زائدة الذي زِيدَت بهِ شرَفاً الى شرفٍ بنو شَيبانِ
إن عُدَّ أيامُ الفعال فانَّما يَوماه يومُ نَدًى ويومُ طِعانِ

فقال والله يا امير المؤمنين ما اعطيتُه ما بلغك لهذا الشِعر وانما أَعطيته لقولهِ:

ما زِلتَ يوم الهاشمية[1] معلناً بالسيف دُونَ خليفةِ الرحمانِ

١) راجع في يوم الهاشمية مختصر تاريخ الدول ٢١٠ والهاشمية مدينة

فمنعت حوزتَهُ وكنتَ وقاءَهُ من وقعِ كلِّ مُهنَّدٍ وسِنان

فاستحيا المنصور وقال: انا اعطيتَه ما اعطيتَه لهذا القول. قال: نعم يا امير المؤمنين والله لولا مخافة الشنعة عندك لامكنتُه من مفاتيح بيوت المال وأبحتُه اياها. فقال له المنصور: لله درُّك من أعرابي ما اهون عليك ما يعزُّ على الرجال واهل الحزم

٨٣ نادَوا بالوَيل والحرَب والسَّلَب

زار معبدٌ ابنَ سريج والغَريض بمكّة فخرجا به الى التَّنعيم[1] ثم صاروا الى الثنيّة[2] العُليا ثم قالوا: تعالَوا حتى نبكيَ اهل مكّة. فاندفع ابنُ سُريج فغنّى صوته في شعر كثير بن كثير

أسعِديني بعَبْرةٍ أسرابِ من دُموع كثيرةِ التَّسكابِ

فأَخذ اهلُ مكة في البُكاء. وأنّوا حتى سُمع أنينُهم ثم غنّى معبد[3]

بنواحي الكوفة كان ابتناها المنصور

١) « التنعيم موضع بمكّة في الحلّ وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة » (ياقوت ١ : ٨٧٩) ٢) الثنية الطريقة في الجبل

٣) هو معبد بن وهب كان ابوه اسود وكان هو خلاسيًّا (الخلاسي الولد من ابوين ابيض واسود) مديد القامة احول كانت صناعته التجارة في اكثر ايام رقّهِ وربما رعى الغنم لمواليه وهو مع ذلك يختلف الى نشيط الفارسيّ وسائب خاثر يأخذ عنهما الغناء وعن جميلة. حتى اشتهر بالحذق وحسنِ الغناء وطيب الصوت. وصنعَ الالحان فاجاد واعترف له بالتقدُّم على اهل عصره غنى في اول دولة بني امية ومات في ايام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عندهُ وقد قيل انه اصابه الفالج قبل موتهِ وارتعش وبطل صوته

يا راكباً نحوَ المدينة جَسرةً أُجُدًا[١] تُلاعبُ حَلقةُ وزماما
إقرأ على اهلِ البقيع[٢] مِن امرئٍ كَمِدٍ على اهل البَقيع سلاما
كم غيَّبوا فيه كريماً ماجِدًا شَهماً ومُقتَبِلَ الشبابِ غُلاما
ونفِيسةً في اهلها مَرجوَّةً جمَعَت صَباحةَ صورةٍ وتَماما

فنادَوا من الدُّروب بالويل والحَرَب[٣] والسَّلَب. وبقي الغريض لا يقدر من البكاء والصُّراخ أن يُغنِّي

٨٤ كان يتفقّدُه بالصِلات الفَيْنةَ بعد الفَيْنةِ

اخبر جحظة قال لما اختلّت حال عُبَيد الله بن عبدالله بن طاهر كان المعتضِد يتفقده بالصِلات الفينة[٤] بعد الفينة. واتفق يوماً كان فيه مُصطبِحاً أن غُنِّي بصوتٍ الصَّنعةُ فيه لِشاجي جارية عبيدالله فكتب اليه كتاباً يُقسِم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال فحدَّثني مَن حضر من المغنّيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت دخلَتْ إلينا وما مِنّا الّا مَن يرفُل في الحُلِيِ والحُلَل وهي في أثواب ليست كثيابنا فاحتقرناها فلمّا غنّت احتقَرْنا انفُسَنا ولم تزل تلك حالَنا حتى صارت في أَعيُننا كالجبل وصرنا كلا شيء. (قال) ولما انصرفت أمرَ لها المعتضد بمالٍ وكُسوة ودخلت الى مولاها فجعل يسألُها عن امرها وما رأت مِمّا استظرفت. فقالت: ما استحسنتُ هناك شيئاً ولا استغربته من غناء ولا غيره الّا عودًا فانّي استظرفتُه قال جَحْظةُ فما قولُكَ فيمن

---

١) الجسرة الناقة الطويلة الماضية. والأُجد الموثقة الضهر
٢) البقيع مقبرة في المدينة ٣) الحرَب الرجل يُسلَب مالهُ
٤) الفينة الحِين اي يتفقده حيناً بعد حين

يدخل دار الخلافة فلا يمُدُّ عينه لِشيء يستحسنه فيها الّا عودًا

٨٥ ويحكِ مَن كَرِيمُ قُرَيش هذا

كان السبب في رَدِّ يزيد بن عبد الملك الاحوصَ أنَّ جميلة غنّتهُ يوماً

كريمُ قريشٍ حينَ يُنسَبُ والذي أقرَّت له بالْملكِ كهلًا وأمرَدا

فطَرِب يزيد وقال: ويحكِ مَن كريم قريش هذا قالت: انتَ يا امير المؤمنين ومَن عسى ان يكون ذلك غيرَك . قال: ومَن قائل هذا الشعر فيَّ . قالت . الاحوص وهو منفِي . فكتب بردِّه وحملِه اليه وأنفذَ اليهِ صِلاتٍ سنيَّة فلمّا قدِم اليه أدناهُ وقربه وأكرمه . وقال له يوماً في مجلس حافِل: والله لو لم تمُتَّ الينا بحق ولا صِهرٍ ولا رَحِم إلّا بقولك:

وإني لأَستحييكم أن يقودَني الى غيرِكم من سائرِ الناسِ مَطمَعُ

لَكفاكَ ذلك عندنا: قال ولم يزل ينادِمُه وينافِس به حتى مات

٨٦ كان يقال له اشجُّ قُريشٍ

عُمَر بن عبد العزيز بن مَروان ويُكنَى ابا حَفص وأمّه أمّ عاصِم وكان يقال له أشج قريشٍ لانّه كان في جَبهته أثر يقال إنه ضربة حافِر فذكر يحيي بن سعيد الأموى عن ابيه أن عبد الملك بن مَروان كان يُؤثِر عمر بن عبد العزيز ويَرِقُّ عليه ويدنيه . واذا دخل عليه رفعَه فوق ولدهِ جميعاً إلّا الوليدَ فعاتبه بعضُ بَنيه على ذلك . فقال له : أَوَما تعلم لِمَ فعلتُ ذلك . قال: لا قال: إنَّ هذا سيَلِي الخلافةَ يوماً وهو اشجُّ

بني مروان الذي يملأ الارض عدلًا بعدَ أن تُملأ جورًا فما لي لا أُحبُّه وأُدنيه

خرج عُمر بن عبد العزيز يلعب فرمحتْهُ بغلة على جبينه. فبلغ الخبر أُمه امَّ عاصم فخرجت في خَدَمها وأقبلَ عبد العزيز بن مروان اليها فقالت. امّا الكبير فيُخدَم. وامّا الصغير فيُكرَم. واماّ الوسَط فيضيع. لِمَ لا تتخذ لأبني حاضِناً حتى أصابَه ما ترى فجعل عبد العزيز يمسحُ الدم عن وجهه. ثم نظر اليها وقال: ويحكِ إن كان اشجَّ بنى مروان او اشجَّ بني أُميَّة إنه لَسعيد

٨٧ جعل يغوص في الفُرات ويطفو

حدَّث اسمعيل بن يونس قال: اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات ومعهم مُغنّية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضِنا وهي مُغنّية. فأحببنا أن نسمع غِناءَها فهبناكَ فان أذِنتَ لنا فعلنا. قال: انا أطلعُ الى ظلال السفينة فاصنعوا انتم ما شِئتم. فصعِدَ. واخذت الجارية عودًا فغنَّت:

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءُهُ وغابتِ الجوزاء والمِرزمُ[1]
اقبلتُ والوَطءُ خفيٌّ كما يَنسابُ من مَكمَنِهِ الأَرقمُ[2]

فطرِبَ الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الارقمُ انا الارقمُ. فألقوا انفسهم

---

١) الجوزاء نجم والمرزم نجم آخر
٢) الارقم الحية التي على ظهرها رقم اي نقش

خلفه فبعدَ لأيٍ ما[١] استخرجوه وقالوا له : يا شيخ ما حملك على ما صنعتَ فقال : إليكم عني فإني والله اعرف من َمعاني الشعر ما لا تعرفون وقال اسمعيل في خبرهِ . فقلتُ له : ما أصابك فقال : دبَّ شيء من قدمي الى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله فلما وردا على قلبي لم اعقل ما عملتُ

٨٨ لا البيت لي ولا لك . سرقناهُ جميعاً

مدح موسى شهوات[٢] أبا بكرٍ بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسنَ فيها واجادَ وقال فيها :

وكذاك الزمان يذهب بالنا سِ وتبقى الدِّيارُ والآثارُ .

فقام الاحوص ودخل َمنزلَه وقال قصيدةً مدحَ فيها ابا بكر بن عبد العزيز ايضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينهِ وخرج فأنشدها فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوصُ مِثلَك . قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ اجودَ بيت فيها وجعلتَه في قصيدتك . فقال له الاحوص : ليس الامر كما ذكرتَ ولا البيت لي ولا لك هو لِلَبيد سرقناه جميعاً منه . انما ذكرَ لبيدٌ قومه فقال :

فعفا آخرُ الزمانِ عليهم فعلى آخر الزمان الدبار[٣]

---

١) بعد لأي اي بعد إبطاء ومَشقّةٍ وجهدٍ

٢) موسى شهوات هو موسى بن بشّار مولى قريش ويُكنى ابا محمد وشهوات لقب غلب عليه لانه كلما رأى مع احد شيئاً يعجبه تباكى وقال اشتهي هذا وكان شاعراً من شعراء اهل الحجاز وكان الخلفاء من بني امية يحسنون اليه ويدرُّون عطاءهُ وتجيئه صلاتهم الى الحجاز

٣) عفا عليهم أفناهم الدبار الهلاك

وكذاكَ الزمان يذهب بالنا   س وتبقَى الرسومُ والآثارُ

فسكت موسى شهوات فلم يُحِر جواباً كأنما القمه حجرًا

٨٩   قد عَفيتُ عنكَ وعنهُ لكَ

عزلَ الوليدُ بن عبد الملك عُبيدةَ بن عبد الرحمن عن الأُردُنّ وضربَه وحلقَه واقامهُ للناس وقال للمتوكلين بهِ مَن أتاه مُتوجعاً وأثنَى عليه فأتوني به. فأتى عَديٌّ بن الرِقاع[١] وكان عبيدةُ اليه مُحسِناً فوقف عليه وأنشأ يقول:

فما عَزلوك مَسبوقاً ولكن   إلى الخيرات سبّاقاً جَوادا

وكنتَ اخي وما ولدتك أُمّي   وَصُولًا باذلًا لي مستَرادا[٢]

وقد هِيضت لنكبتك القُدامَى[٣]   كذاكَ الله يفعل ما ارادا

فوثبَ المتوكّلون بهِ اليه فأدخلوه الى الوليد واخبروه بما جرى فتغيَّظ عليه الوليد وقال له: أتمدحُ رجلًا قد فعلتُ به ما فعلتُ. فقال: يا امير المؤمنين انه كان لي مُحسناً ولي مُؤثِرًا وبي بَرًّا. ففي اي وقتٍ كنتُ أُكافِئهُ بعد هذا اليوم فقال: صدقتَ وكرُمتَ فقد عفوتُ عنك وعنه لك فخُذهُ وانصرِف. فانصرفَ به الى منزلهِ

---

١) عديّ بن الرقاع هو عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرقاع. نسبَهُ الناس الى جدّ جدّهِ لشهرتهِ وكان شاعرًا مقدَّمًا عند بني امية مدّاحاً لهم خاصًّا بالوليد بن عبد الملك . جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام وكان منزلهُ بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم

٢) مُستَراد يُرغَب فيه لنفاستهِ

٣) القُدامى ريشات في مقدَّم الجناح   هِيضَت كُسِرت

٩٠ جلستُ تحتَ ظُلَّةٍ لهم من جريد النخل

اخبرَ ابو مالك الراوية قال سمعتُ الفرزدق[١] يقول : أَبَقَ[٢] غُلامان لِرجلٍ منا يُقال له الخَضِر فحدَّثني قال : خرجتُ في طَلَبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيساء[٣] كَوْماء أُريد اليمامة . فلما صِرتُ في ماء لِبَني حنيفة يقالُ له الصَرصرانُ ارتفعَت سحابة فرعدَت وبرَقت وأرخت عزاليَها[٤] فعدلتُ الى بعض ديارهم وسألتُ القِرى فأجابوا . فدخلتُ دارًا لهم وأنختُ الناقة وجلستُ تحتَ ظُلَّةٍ لهم من جريد النخل . وفي الدار جُوَيرية لهم سوداء إذ دخلَت جارية كأنها سَبيكة فِضّة وكأنّ عينيها كوكبان دُرّيان . فسألتِ الجاريةَ لِمَن هذه العيساء تعني ناقتي فقالت : لضيفِكم هذا فعدلَت اليَّ فقالت : السلام عليكم فرددتُ عليها السلام فقالت لي : مِمَّن الرجل . فقلتُ : من بني حنظلة . فقالت : من أيّهم . فقلتُ من بني نَهْشَل . فتبسمت وقالت : انتَ اذًا مِمَّن عناهم الفَرَزدق بقوله :

إنَّ الذي سمك[٥] السماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائمُهُ اعزُّ وأطولُ

---

١) الفرزدق لقبٌ غلب عليه واسمه همَّام بن غالب . . . بن مجاشع بن دارم . ومُجاشع ونَهْشَل اخوان وكانت عداوة بين الفرزدق وجرير وتناقضا بالاشعار وقد طُبعت نقائضهما عُني بطبعها العلامة بيڤن Bevan واعان الاخطلُ الفرزدقَ على جرير . وقد طُبعت مؤخرًا نقائض جرير والاخطل في مطبعتنا الكاثوليكية ٢) أبقَ العبد اذا هربَ

٣) العيساء الناقة يخالطُ بياضها شيء من الشُقرة والكوماء الناقة الضخمة السنام

٤) المزالي جمع العزلاء وهو فم المزادة فشبّه اتساع المطر واندفاقه بالماء المتدفّق من فم المزادة ٥) سمكَ اي رفعَ

بيتاً بناه لنا المَليك وما بَنى مَلكُ السماءِ فانّه لا يُنقَلُ
بَيتاً زرارةُ مُحتَبٍ[١] بفنائه ومُجاشِعٌ وابو الفوارسِ نَهشَلُ

قال : فقلتُ نعم جُعلتُ فِداكِ وأعجبني ما سَمِعتُ منها فضحكتْ وقالت : فانّ ابنَ الخطَفَى[٢] قد هدمَ عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم بهِ حيث يقول :

أخزَى الذي رفع السماءَ مُجاشعاً وبَنَى بناءَك بالحضيض الأسفَلِ
بيتاً يُحَمِّمُ قَينُكم[٣] بفِنائـهِ دَنِساً مَقاعِدُه خَبيثَ المدخلِ

(قال) فوجمتُ فلمّا رأت ذلك في وجهي قالت : لا عليكَ فانّ الناسَ يُقال فيهم ويقولون . ثم قالت اين تؤمّ قلتُ : اليمامة فتنفّست الصُعَداء ثم قالت ها هي امامكَ ثم انشأت تقول

تُذكّرني بِلادًا خيرُ اهلي بها أهلُ المروءَة والكرامه
ألا فسقَى الالهُ أجشَّ صَوباً[٤] يسُحُّ بدَرّهِ بلدَ اليمامه
وحيّـاً بالسلامِ ابا نَجيدٍ فأهـلٌ للتحيّةِ والسلامه

٩١ كان لا يسمع من شُعراء مُضَر

ان الحَجّاج أَوفدَ ابنه محمد بن الحجاج الى عبد الملك وأوفد اليه جريرًا معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته

---

١) احتبى جمع بين ساقيه وظهره بعمامة ونحوها او بيديه
٢) ابن الخطفى هو جرير الشاعر
٣) القين الحدّاد ويحمّم يوقد وينشر سواد الدخان
٤) الصوب المطر والاجشّ السحاب الشديد صوت الرعد سحّ المطر اشتدّ انصبابهُ

عليه فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم لأنهم كانوا زُبَيرية فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمَه انَّ أباه الحجّاج يسأله في امرهِ ويقول انه لم يكن ممَّن والَى ابن الزُّبَير ولا نصرَهُ بيده ولا لِسانه وقال له محمد يا امير المؤمنين إنّ العرب تتحدث أنَّ عبدك وسَيفك الحجّاج شفع في شاعر قد لاذَ بهِ وجعلَهُ وسيلتَهُ ثم رددتَه فاذِنَ له فدخلَ فاستأذنَ في الإنشاد فقال له وما عَساكَ أن تقول فينا بعد قولك في الحجّاج. ألستَ القائل

مَن سَدَّ مُطّلَع النِفاق عليكمُ ام مَن يَصُول كصَوْلةِ الحجاجِ

إنّ الله لم ينصرني بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته أوَلستَ القائل

ام من يَغار على النساءِ حفيظةً اذ لا يثقنَ بغَيْرَةِ الأزواجِ

والله لَهَممتُ أن أطيرَ بك طَيرةً بطيئاً سُقوطُها. أُخرُج عنّي. فأُخرِج بشر.

٩٢ ويحكَ لقد غرَّرتَ[١] بنفسِكَ

نزل جرير على عَنبسةَ بن سعد بواسط[٢] ولم يكن احد يدخُلها الّا باذن الحجّاج. فلما دخل على عنبسة قال له: ويحكَ لقد غررت بنفسكَ

---

١) غررت بنفسك اي عرَّضتَ نفسك للهلاك

٢) واسط هذه مدينة بناها الحجاج في ارض يقال لها واسط القصب بين الكوفة والبصرة والمداين والاهواز

فما حملكَ على ما فعلتَ قال : شعرٌ قلته اعتلجَ في صَدري وجاشت[١] به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأَمير (قال) فعنَّفهُ وادخله بيتاً في جانب داره وقال لا تُطلعنَّ راسك حتى تنظر كيف تكون الحيلة لك . (قال) فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ وهو قاعد في الخضراء وقد صُب فيها ماء استنقع في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوع ناحيةً قال عنبسة : فقعدتُ على الكرسيِّ واقبل عليَّ الحجاج يحدّثني فلما رأيتُ تطلُّقهُ وطيبَ نفسهِ قلتُ اصلحَ الله الامير رجلٌ من شعراء العرب قال فيك شعرًا اجادَ فيه فاستخفَّه عَجَبُه به حتى دعاه الى أن رحلَ اليك ودخل مدينتك من غير ان يُستأذَن له قال ومن هو قلتُ : ابن الخطَفى . قال واينَ هو قلتُ في المنزل قال يا غُلام فاقبل الغِلمان يتسارعونَ . قال : صِف لهم موضعه من دارك فوصفتُ لهم البيت الذي هو فيه فانطلقوا حتى جاؤوا به فأُدخِل عليه وهو مأخوذ بضَبْعَيه[٢] حتى رُمي به في الخضراء فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفَّش كما يتنفَّش الفرخ. فقال له هِيهِ ما أقدمك علينا بغير إذننا لا امّ لك . قال أَصلحَ الله الأَمير قلتُ في الامير شعرًا لم يقل مثلَه احد فجاش به صَدري واحببتُ ان يسمعه مني الامير فأقبلتُ به اليه . قال فتَطلَّق الحجاج وسكنَ واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام . فجاؤوا يسعون . فقال : عليَّ بالجارية التي بعث بها علينا عاملُ اليمامة فأُتي بجارية بيضاء

---

١) اعتلج التطمَ . جاشت غلَت

٢) الضَّبع وسط العضد من اليد

مديدة القامة فقال : إن اصبتَ صِفتَها فهي لكَ . فقال : ما اسمُها .
قال أُمامةُ . فقال

وَدِّع امامةَ حانَ مِنكَ رحيلُ إنَّ الوَداعَ لِمَن تُحبُّ قليلُ
مِثلُ الكثيبِ[1] تَهيَّلَت اعطافُهُ فالريحُ تجبُرُ مَتنَه وتَهيلُ

فقال خُذ بيدها فبكَت الجارية وانتحبت . فقال ادفعوها اليه بمتاعها وبغلها ورِجالها

٩٣ سِرنا بَيَاضَ يومنا وسوادَ لَيلتِنا

حدَّث رجل كان يصحبُ جميلًا من اهل تَيماءَ قال كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدّثني وأُحدثه اذ ثارَ وتربّد وجهُه فأنكرتُه ورأيت منه غيرَ ما كنتُ أرى . ووثبَ نافرًا مُقشعِر الشعر متغيّر اللون . حتى أُتي بناقة له قريبة من الارض مُجتمعةٍ مُوثَقة الخَلق ، فشد عليها رحلَه . ثم أُتي بمِحلَب فيه لبن فشربَه ثم ثنَّى . فشربتُ حتى رويت ثم قال لي : اشدُد اداة رحلِك واشرب واسق جملك فاني ذاهبٌ بك الى بعض مَذاهبي ففعلتُ فجال في ظهر ناقته وركبت ناقتي فسرنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا ثم أصبحنا فسِرنا يومنا كلَّه لا واللهِ ما نزلنا الَّا للصلاة فلما كان اليومُ الثالثُ دفعنا الى نسوةٍ فمال إليهن ووجدنا الناس خُلوفاً[2] وإذا قِدرُ لَبنٍ ثَمَّ وقد جُهدتُ جوعاً وعطشاً فلما رأيتُ القِدرَ اقتحمتُ عن بعيري وتركته جانباً ثم ادخلتُ رأسي في

---

١) الكثيب من الرمل المجتمع المستطيل المحدودب تهيلت لم تثبت جوانبه فتسقط
٢) خلوف اي غائبين

القِدر ما يَثنيني حَرُّها حتى رَوِيتُ فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القِدر فضاقت عليَّ واذا هي على رأسي قَلَنسِيةٌ[1] . فضحِكن مِنّي وغسلن ما اصابني وأُتي بجمل بتَرى فوالله ما التفتَ اليه فبينا هو يحدّثهن اذا رَواعي الإبل . وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم . وجاء الناس فقالوا له : ويحك أنجُ وتقدم فوالله ما اكبرهم كلَّ الإكبار وغشِيَهُ الرجال فجاءوا يرمونه ويطردونه . فاذا قرُبوا منه قاتلهم ورمى فيهم . وهامَ[2] بي جَمَلي . فقال لي : يسِّر لنفسك مركباً خلفي فأردفني خلفَه . ولا والله ما انكسر ولا انحلَّ عن فِرصتِه[3] حتى رجعَ الى اهلهِ وقد سار ستَّ ليالٍ وستة ايام وما التفتَ الى طعام

٩٩ صُنِعتُ واللهِ حتى لم أدرِ أين أنا

كان جعفر بن ابي جعفر المنصور المعروف بابن الكُردية يستخف مُطيع بن إياس وكان مُنقطِعاً اليه وله منه مَنزِلةٌ حسنة . فذكر له مطيع بن إياس حمّادًا الراوية وكانَ مجفُوًّا في أيامهم فقال له دَعني فانَّ دولتي كانت في بني أُميّة وما لي عند هؤلاء خير . فأبى مطيع الّا الذهابَ به اليه . فاستعار سَوادًا وسَيفاً ثم أتاهُ فدخل على جعفر فسلَّم عليه وجلس فقال له جعفر : أنشدني فقال : لِمَن ايها الأمير قال : لجرير . قال حمّاد : فسلَخَ اللهُ شِعرهُ اجمع من قلبي إلّا قوله : « بانَ الخليط برامتَين فودَّعوا » فاندفعتُ أُنشِده إيّاه حتى بلغتُ الى قوله :

---

١) القلنسية من ملابس الرأس ٢) الهَيْمُ داء يأخذ الابل في رؤوسها مثل الدُّوار ٣) الفِرصة القطعة من الصوف كالجلال على ظهر الناقة

وتقولُ بَوْزَعُ قد دَببتَ على العَصا هلّا هَزِئتِ بغيرِنا يا بوزعُ

فقال حمّاد: قال لي جعفر: أَعِدْ هذا البيت فأعدتُه. فقال: ايش هو بوزع قلتُ: اسم امرأة قال: امرأة اسمها بوزع هو بريءٌ من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلّا غُولًا من الغِيلان. تركتَني واللهِ يا هذا لا انام الليل من فزع بوزع. يا غِلمان قفاهُ. (قال) فصُفِعتُ واللهِ حتى لم أدرِ اين انا. ثم قال: جُرُّوا برجله فجَروا برجلي حتى أُخرِجتُ من بين يديه وقد تخرَّقَ السَوادُ وانكسر جَفنُ السيف ولَقِيتُ شرًّا عظيماً مما جرى من ذلك وكان اغلظ من ذلك عليَّ غرامَتي السوادَ والسيف فلمّا انصرف اليَّ مطيع جاءَ يتوجّع لي. فقلت له: ألم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيرًا وأن حظّي قد مضى مع من مضى من بني أميّة

٩٥ ما أَشعرَهُ وأَدقَّ مَعانِيَهُ

قال عليّ بن جبلة: زُرتُ أبا دُلَف بالجبل فكان يُظهِرُ من إكرامي وبِرّي والتحفّي بي امرًا مُفرِطاً حتى تأخرتُ عنه حيناً حياءً. فبعثَ اليَّ مَعقِل بن عيسَى فقال يقول لك الأميرُ قد انقطعتَ عني وأحسَبُكَ أستقللتَ بِرّي بك فلا يُغضبنَّكَ ذلك. فسأزيدُ فيه حتى ترضَى فقلت: والله ما قطعني إلّا إفراطهُ في البِرّ. وكتبتُ اليه

هجرتُكَ لم أهجُركَ من كفر نعمةٍ وهَلْ يُرتَجى نَيْلُ الزيادة بالكُفْرِ
ولكنّني لمّا اتيتُكَ زائرًا فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ

فمِ الآنَ[1] لا آتيكَ الّا مُسلّماً   أزوركَ في الشهرين يوماً أوِ الشهرِ
فإن زِدتني بِرًّا تزايدتُ جفوةً   ولم تَلقني طُولَ الحياة الى الحشرِ

فلمّا قرأها معقل استحسنها جدًّا وقال أحسنتَ والله أما إنَّ الامير لتُعجِبه هذه المعاني. فلمّا اوصلها الى ابي دُلف قال: قاتلَه الله ما اشعره وادقَّ معانيه فأعجبته فأجابني لوقتهِ وكان حسَنَ البَديهة حاضِر الجواب:

ألا رُب ضيفٍ طارقٍ قد بَسطتُه   وآنستُه قبلَ الضيافةِ بالبِشرِ
أتاني يُرجّيني فما حال دونَهُ   ودونَ القِرَى والعُرفِ من نائلي ستري
وجدتُ له فضلًا عليَّ بقصدهِ   إليَّ وبرًّا زادَ فيه على بِرّي
فزوّدتُه مالًا يَقِلُّ بقاؤه   وزوّدني مدحاً يدوم على الدهرِ

قال وبعثَ اليَّ بالأبيات مع وصيف له وبعث معه إليَّ بألف دينار فقلتُ حينئذٍ:

إنّما الدنيا ابو دُلفٍ   بين مَغزاهُ ومُحتَضَرِه
واذا ولّى ابو دُلفٍ   ولّت الدنيا على أثرِه

٩٦ ما أغفلَك عن أمرنا

لما قدِم عثمان بن حيّان المدينة والياً عليها قال له قومٌ من وجوه الناس: إنك قد وَليتَ على كثرةٍ من الفساد فان كنتَ تُريد ان تُصلح فطهّرها من الغِناء. فصاح في ذاك وأجّل اهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة وكان ابن ابي عتيق غائباً وكان من اهل الفضل

---

١) فمِ الآن يريد فمِنَ الآنَ

والعفاف والصلاح فلما كان آخر ليلة من الأَجل قدم فقال لا ادخل منزلي حتى ادخلَ على سلامة القسّ فدخل عليها فقال ما دخلتُ منزلي حتى جئتكم اسلّم عليكم قالوا : ما اغفلك عن أمرنا واخبروُه الخبر فقال اصبِروا عليَّ الليلة فقالوا نخاف ان لا يمكنك شيء وننكص . قال : ان خفتم شيئاً فاخرجوا في السحَر ثم خرج فاستأذنَ على عثمان بن حيان فأذِن له فسلّم عليه وذكر له غَيبتَه وانه جاءَهُ ليقضي حقّه ثم جزاهُ خيرًا على ما فعل من إخراج اهل الغِناء وقال: ارجو ألّا تكون عمِلتَ عملًا هو خير لك من ذلك . قال عثمان قد فعلتُ ذلك واشار به علي اصحابك فقال قد اصبتَ . ولكن ما تقول أمتعَ الله بكَ في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكرَه على ذلك ثم تركتْه واقبلت على الصلاة والصيام والخير واتى رسولُها اليك تقول اتوجهُ اليك واعوذ بك ان تُخرِجني من جِوار رسول الله صلعم ومسجِده قال: فاني أدعُها لك ولكلامك . قال ابن عقيل لا يدعْك الناس . ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر اليها فان رأيتَ أنَّ مِثلَها ينبغي ان يُترَك تركتَها قال: نعم فجاءَهُ بها وقال لها إجعلي معك سُبحة وتَخشّعي ففعلَت فلما دخلت على عُثمان حدّثته واذا هي من أعلَم الناس بالناس وأُعجِب بها . وحدَّثته عن آبائه وأُمورِهم فنَكِه لذلك فقال لها ابن ابي عتيق إقرئي للامير فقرأَت له فقال لها أحدي لـه ففعلت فكثُر تعجُّبه فقال كيف لو سَمِعتها في صِناعتها فلم يزل يُنزِله شيئاً شيئاً حتى امرها بالغِناء فقال لها ابن ابي عتيق غَنّي فغنَّت

سددنَ خصاص الخَيم لما دخلنَهُ　بكلّ لَبانٍ[1] واضحٍ وجبينِ

فغنّته　فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال　لا والله

ما مثلُ هذه تخرج　قال ابن ابي عتيق　لا يدعك الناس يقولون

اقرّ سلامة وأخرجَ غيرها . قال　فدعوهم جميعاً　فتركوهم جميعاً .

٩٧　ما شئتُ ان أرَى باكياً إلّا رأيتُه

قدمت رسُل يزيد بن عبد الملك المدينةَ فاشتَروا سلّامة المغنية
من آل رمانة بعشرين الف دينار . فلما خرجَت من مِلك اهلها طلبوا الى
الرسُل أن يتركوها عندهم اياماً ليجهّزوها بما يشبهها من حُلِي وثياب
وطِيب وصِبغ　فقالت لهم الرسُل　هذا كلّه معنا لا حاجة بنا الى
شيء منه　وامروها بالرحيل　فخرجت حتى نزلت سِقاية سليمان بن
عبد الملك وشيّعها الخَلق من اهل المدينة　فلما بلغوا السقاية قالت
للرسُل　قومٌ كانوا يغشونني ويسلّمون علي ولا بدّ لي من وداعهم
والسلام عليهم　فأذِن للناس عليها فانقضّوا حتى ملئوا رَحبة القصر
ووراءَ ذلك . فوقفت بينهم ومعها العود فغنّتهم

فارقوني وقد علمتُ يقيناً　ما لِمَن ذاقَ مِيتةً من إيابِ
إنّ اهل الحصابِ قد تركوني　مُولَعاً مُولَهاً بأهل الحصابِ
اهلُ بيتٍ تتابعوا لِلمنايا　ما على الدهرِ بعدَهم من عِتابِ
سكنوا الجِزعَ جزع بيت ابي موسى　الى النخل من صُفَيِّ السِّبابِ
كم بذاك الحَجُونِ من حيِّ صِدق　وكُهولٍ أعفّةٍ وشبابِ[2]

---

١) لبان صَدْر . الخيم اعوادٌ تنصب تُجعل لها عوارض وتُظلّل بالشجر .
والخصاص الفُرَج　٢) راجع هذه الابيات وشرحها في الرنّات (١ : ٣٦٧)

قال عيسى وكنتُ في الناس فلم تزل تُردّد هذا الصوت حتى راحت. وانتحب الناسُ بالبُكاء عند رُكوبها فما شِئتُ أن أرَى باكياً إلّا رأيتُه

٩٨ كان غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة

حدّث شيخ من المكيين قال: إنّا لَبالأبطح ايام الموسم نشتري ونبيع اذ أقبل ابيض الرأس واللحية على بغلة شهباء. ما ندري اهو اشدّ بياضاً ام بغلته ام ثيابه. فقال: اين بيت ابي موسى. فأشرنا له الى الحائط فمضى حتى انتهى الى الظلّ من بيت ابي موسى ثم استقبلَنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يغنّي

اسعديني بعَبرةٍ اسراب من دُموعٍ كثيرةِ التَّسكاب

ثم صرف الرجل بغلته وذهب فتبعناه حتى ادركناه فسألناه من هو فقال: انا حُنَين بن بلُّوع وأنا رُجل أكري الابل. ثم مضى

اخبر المدائني قال كان حُنَين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيات فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القِيان والمطربين الى الحيرة ورأوا رشاقته وحُسنَ قدِّه وحلاوتَه وخِفَّة روحهِ استحلَوه واقام عندهم وخف لهم. فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويُصغي اليه ويستمعه ويُطيل الإصغاء اليه فلا يَكاد ينتفع بهِ في شيء اذا سمعهُ حتى شدا منه اصواتاً فأسمعَها الناس وكان مطبوعاً حسنَ الصوت واشتهوا غِناءَه والاستماع منه وعشرته وشُهِر بالغناءِ ومهرَ فيه وبلغ منه مبلغاً كثيراً. ثم رحل الى عمر بن داود الوادي والى حكَم الوادي وأخذ منهما وغنّى

لنفسهِ في اشعار الناس فاجادَ الصنعة واحكمها ولم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصرهِ . وقدِم ابن محرز حينئذٍ الى الكوفة وبها بِشر ابن مَروان وقد بلغه انه يشرب الشراب ويسمع الغناء. فصادفه وقد خرج الى البصرة . وبلغ خبرهُ حُنين بن بلّوع وقد كان يعرفه فخشي ان يعرفه الناس فيستحلونه ويستولي على البلد فيسقط هو . فتلطف حتى دعاهُ . فغناهُ ابن محرز فسمع شيئاً هالَهُ وحيّرهُ فقال له حُنين : كم منّتك نفسُك من العراق . قال : الف دينار . فقال هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودَع العراق لي وامضِ مُصاحَباً حيث شِئت (قال) وكان ابن محرز صغير الهمّة لا يحبّ عشرة الملوك ولا يؤثر على الخلوة شيئاً فأخذها وانصرف

٩٩ هِيهِ يا عُمَر أَتراكَ خدعتَنا مُنذُ اليوم

حدَّث عمر بن أَبي ربيعة قال بينا أنا منذ اعوام جالسٌ إذ اتاني خالد الخِرِيت فقال لي : يا أبا الخطّاب مرَّت بي اربع نسوة قُبَيل العِشاء يُردنَ موضع كذا وكذا لم أَرَ مثلهنَّ في بَدوٍ ولا حَضَر . فيهنَّ هند بنت الحارث المُرِّيَّة . فهل لك أن تأتيهنَّ مُتنكرًا فتسمع من حديثهنَّ وتتمتع بالنظر اليهنَّ ولا يعلمنَ من انت . فقلتُ له : ويحك وكيف لي أن أُخفِيَ نفسي . قال : تَلبَسُ لِبسة أعرابي ثم تجلسُ على قَعُودٍ لي فلا يشعُرنَ إلا بك قد هجمتَ عليهنَّ ففعلتُ ما قال وجلستُ على قَعُود ثم اتيتُهنَّ فسلمتُ عليهن ثم وقفتُ بقربهنَّ فسألنني أن أُنشِدَهنَّ وأُحدِّثهنَّ . فأنشدتُهنَّ لكُثَيِّر وجَميل والأَحوص ونُصَيب وغيرهم

فقلن لي : ويلك يا أعرابي ما أملحك وأظرفك . لو نزلتَ فتحدّثت معنا يومَنا هذا . فاذا أمسيتَ انصرفتَ في حِفظ الله . قال : فأنختُ بعيري ثم تحدثتُ معهنّ وانشدتهنّ . فسُررن بي وجذِلنَ بقربي وأعجبهنَّ حديثي قال ثم انهنَّ تَغامزنَ وجعل بعضهنَّ يقول لبعض كأنّا نعرف هذا الأعرابيّ ما اشبهَهُ بعمَر بن ابي ربيعة . فقالت إحداهنَّ : فهو والله عمر فمدت هند يدها فانتزعت عِمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : هِيهِ يا عمر أُتراكَ خدعتَنا منذُ اليومِ بل نحنُ واللهِ خدعناكَ واحتلنا عليك بخالد فأرسلناهُ اليك لِتأتينا في أسوإ هيئة ونحن كما ترَى

١٠٠ الِمكاسُ ليس من أخلاقِ الكِرام

اخبر بِلال مولى ابن ابي عتيق قال : انشد ابن ابي عتيق قول عمر

مَن رسولي الى الثُريّا فإني ضِقتُ ذَرْعاً بهجرِها والكِتابِ

فقال ابن ابي عتيق إياي اراد وبي نوّهَ لا جرم . والله لا اذوقُ أُكُلًا حتى أشخَص وأُصلِح بينهما . ونهَض ونهضتُ معه . فجاء الى قوم من بني الدِّيل بن بَكر لم تكن تُفارِقهم نَجائِبُ لهم فُرهٌ يُكرُونها فاكترى منهم راحلتين وأغلَى لهم . فقلت له : استوضِعهم او دَعني أُماكِسهم فقد اشتطُّوا عليك . فقال : ويحك اما علِمتَ ان المِكاس[١] ليس من اخلاق الكرام ثم ركب إحداهما وركبت الاخرى فسار سيرًا شديدًا . فقلتُ : أبقِ على نفسك فانّ ما تريد ليس يفوتك . فقال : ويحك « ابادرُ حبلَ الودِّ أن يَتقضّبا » . وما حلاوة الدنيا إن تمَّ الصَّدْعُ[٢]

---

١) المماكسة في البيع انتقاص الثمن واستحطاطه
٢) الصَّدْع الشقّ يريد به هنا المداوة

بين عمر والثُريّاَ . فقَدِمْنا مكّة ليلاً غير مُحرِمين . فدقَّ على عمر بابَهُ . فخرج اليه وسلّم عليه ولم ينزل عن راحلتهِ فقال له : إركَب أُصلِح بينكَ وبين الثُريّاَ فانا رسولُك الذي سألتَ عنه . فركب معنا وقدمنا الطائف وقد كان عمر أرضَى أمَّ نوفل. فكانت تطلُبُ الحِيَل لإصلاحها فلا يُمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريّاَ : هذا عمر قد جشَّمَني السفرَ من المدينة اليك فجئتُك به معترفاً لكِ بذنبٍ لم يجنِهِ مُعتذرًا اليكِ من إساءته اليكِ . فدَعِيني من التَّعدادِ والتردَادِ فانّه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصالحته احسنَ صُلح. وأتمَّهُ واجملَهُ وكررْنا الى مكّة فلم ينزلها ابن ابي عتيق حتى رحل

١٠١ كأنّما غنّيتُ للحيطان

حدث بعض اهل العلم بالغِناء عن حُنَين قال : خرجت الى حمص أَلتمسُ الكسب بها وأَرتاد من أَستفيدُ منه شيئاً فسألتُ عن الفتيان واين يجتمعون فقيل لي عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا . فجئتُ الى احدها فدخلتهُ فاذا فيه جماعة منهم فأَنِستُ وانبسطتُ واخبرتهم أني غريب . ثم خرجوا وخرجتُ معهم . فذهبوا بي الى منزل احدهم . فلما قعدنا أُتينا بالطعام فاكلنا وأُتينا بالشراب فشربنا فقلتُ لهم : هل لكم في مغنٍ يغنّيكم . قالوا : ومن لنا بذلك . قلتُ : هاتوا عودًا فأتيتُ به فابتدأتُ في هنيات ابي عبّاد معبد فكأنما غنّيتُ للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سُرّوا به . فقلتُ : ثقل عليهم غِناء معبد لكثرة عملهِ وشدّتهِ وصعوبة مذهبهِ فأخذتُ في غناء غَريض فاذا هو

عندَهم كلا شيء . وغنَّيتُ خفائف ابن سُرَيج وأهزاج حَكَم والاغاني التي لي واجتهدتُ في ان ينهموا فلم يتحرك من القوم احد وجعلوا يقولون : ليتَ أبا مُنبِه قد جاءنا فقلتُ في نفسي ارى أنّي سأفتضحُ اليوم بأبي منبه فضيحة لم يفتضح احد قط مِثلها فبينا نحن كذلك اذ جاء ابو منبه واذا هو شيخ عليه خُفانِ أحمرانِ كأنه جمّال . فوثبوا جميعاً اليه وسلّموا عليه وقالوا يا أبا منبه أبطأتَ علينا وقدّموا له الطعام وسَقَوْه اقداحاً وخنستُ[1] انا حتى صرتُ كلا شيء خوفاً منه فأخذ العودَ ثم اندفع يُغنّي

طرب البحرُ فاعبُري يا سفينه لا تشقّي على رجالِ المدينه

فأقبلَ القوم يصفّقون ويطربون ويشربون . ثم اخذ في نحو هذا من الغِناء . فقلتُ في نفسي : انتم ههنا لئن اصبحتُ سالِماً لا أمسيتُ في هذه البلدة فلما اصبحتُ شددتُ رحلي على ناقتي واحتقبتُ[2] ركوة من شراب ورحلتُ متوجهاً الى الحيرة وقلتُ :

ليتَ شعري متى تخُبُّ[3] بي النا قةُ بين السَّديرِ والصِّنّينِ
مُحتقِباً ركوةً وخبزَ رُقاقٍ وبُقولًا وقطعةً من نُونِ[4]
لستُ ابغي زادًا سِواها من الشا مِ وحسبي عُلالةٌ[5] تكفيني
فاذا أبتُ سالِمًا قلتُ سُحقاً وبِعادًا لِعشرِ فارقوني

---

١) خنستُ انقبضتُ وتأخرتُ
٢) احتقبتُ احتملتُ في مؤخر الرحل
٣) تخبّ تُسرع ٤) نون سمكة
٥) العُلالة ما تعلّلتَ به اي لهوتَ به من طعام او شراب او غيره

١٠٢ أمرَ له بعشرِ قَلائص

اخبر ابن الكلبيّ قال انَّ نُصَيباً مدحَ عبدَ الرحمن بن الضَّحّاك ابن قَيسٍ الفِهْرِيّ فأمرَ له بعَشر قلائص[1] وكتبَ بها الى رجلين من الانصار واعتَذرَ اليه وقال له : والله ما املك إلّا رزقي وإني لأكرهُ أنْ أبسُطَ يدي في أموالِ هؤلاء القوم فخرجَ حتى أتى الأنصاريَّينِ فأعطاهما الكتاب مختوماً : فقرآه وقالا : قد أمرَ لك بثاني قلائص ودفعا ذلك اليه . ثم عُزلَ ووليَ مكانه رجل من بني نَصْر بن هوازن . فأمر بأن يُتتَبَّعَ ما أعطى ابن الضحاك ويُرتَجَعَ فوُجِدَ باسم نصيب عشرُ قلائصَ فأمرَ بمطالبته بها . فقال : والله ما دفعَ اليَّ الّا ثاني قلائص فقال : ما تخرج من الدار حتى تُؤَدّي عشر قلائصَ او اثمانَها . فلم يخرج حتى قُبِضَ ذلك منه فلمّا قَدِمَ على هِشام سمرَ عنده ليلةً وتذاكروا النصريَّ وأنشدهُ قوله فيه :

أفي قلائصَ جُربٍ كنّ من عَمَلٍ أردَى[2] وتُنتزَع من احشائيَ الكَبِدُ
ثانياً كنَّ في اهلي وعندهمُ عَشرٌ فأيَّ كتاب بعدَنا وجدوا
اخانني اخوا الأنصار فأنتقصا منها فعندَهما النَّقدُ[3] الذي نقدوا
وإنَّ عاملَك النصريَّ كلّفني في غيرِ نائرةٍ دَيناً له صَفَدُ[4]
أذنب غيري ولم أذنِبْ يكلّفني ام كيفَ أُقتَلُ لا عَقلٌ ولا قَوَدُ[5]

---

١) قلائص ابل ٢) اردَى اهلك

٣) النقد ما يُعطى من الثمن معجّلًا

٤) النائرة العداوة . الصفد القيد

٥) العقل دية القتيل . القوَد قتل القاتل

(قال) فقال هشام: لا جرمَ واللهِ لا يعمَلُ لي النصريُّ عملًا ابدًا. فكتب بعزلِهِ عن المدينة

١٠٣ ما وصفني الّا بالسَّوادِ وقد صدق

حدَّث عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي عن عمّهِ قال: كانَ نُصَيب يُكنَى أبا الجحناء. فهجاهُ شاعرٌ من اهل الحجاز فقال:

رأيت ابا الجحناء في الناسِ حائرًا ولونُ ابي الجحناء لونُ البهائمِ
تَراهُ على ما لاحَهُ من سَوادِهِ وإن كان مظلوماً لهُ وجهُ ظالمِ

فقيل لنصيب ألا تجيبهُ. فقال: لا ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأجبتهُ. ولكن الله أوصلني بهذا الشعرِ الى خيرٍ فجعلتُ على نفسي ألّا اقولَه في شرٍ. وما وصفني الّا بالسواد وقد صدقَ. أفلا أُنشِدكم ما وصفتُ به نفسي. قالوا: بلى. فأنشدهم قوله:

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي هذا اللسانُ الى فؤادٍ ثابتِ
من كان ترفعُهُ منابتُ اصلهِ فبيوت اشعاري جُعِلنَ مَنابتي
كم بين أَسودَ ناطقٍ ببيانهِ ماضي الجَنان وبين ابيضَ صامِتِ
اني لَيحسُدني الرفيعُ بِناؤُه منفضلِ ذاك وليس بي من شامِتِ

ويروى مكان «من فضل ذاك» «فضلُ البيانِ» وهو اجود

١٠٤ إنّ الناس يزعُمونَ أنك لا تُحسِنُ أَن تهجُوْ

اخبرَ ابو عبيدة قال: قال لي محمّد بن عبدِ ربّهِ دخلت مَسجِد الكوفة فرأيتُ رُجلًا لم أرَ قطُّ مثلَه ولا اشدَّ سَوادًا منه ولا أَنقى ثياباً منه ولا احسنَ زِيًّا. فسألت عنه فقيل: هذا نُصَيب فدنوتُ منه

فحدَّثته ثم قلتُ له : أَخبِرني عنك وعن اصحابك فقال : جَميلٌ إمامُنا وعمر بن أَبي رَبيعة أَوصفُنا لربَّات الحِجال و كُثيِّر ابكانا على الدِّمَن وامدحُنا للملوك واماَّ انا فقد قلتُ ما سَمعتَ فقلتُ له إِن الناس يزعُمون انك لا تُحسِنُ ان تهجو . فضَحك ثم قال : أَفتُراهم يقولون اني لا أُحسِن ان أَمدح . فقلتُ : لا فقال : أَفا تَراني أُحسِن ان اجعلَ مكانَ عافاك اللهُ اخزاك الله (قال) قلتُ : بلى . قال : فاني رأيت الناس رُجلين إما رجلٌ لم اسأَلهُ شيئاً فلا ينبغي ان أَهجوَه فأَظلمَهُ . و إِماَّ رجلٌ سأَلتُهُ فمنعني فنفسي كانت احقّ بالهجاء . اذ سوَّلَت لي أَن اسأَلهُ وأَن أَطلُبَ ما لَدَيهِ

١٠ رُفِعَ لهم سَوادٌ عظيمٌ فأَمُّوهُ حتى أَتَوهُ

حدَّث النُّصَيب ابو مِحجَن أنه خرج هو و كُثيِّر والأَحوَص غِبَ يومٍ أَمطرت فيه السماء فقال : هل لكم في أن نركَبَ جميعاً فنسيرَ حتى نأتيَ العقيقَ[١] فنُمتّعَ فيه أَبصارنا فقالوا نعم فركبوا افضلَ ما يقدرون عليه من الدوابّ ولبسوا احسنَ ما يقدرون عليه من الثياب وتنكَّروا ثم ساروا حتى اتوا العقيق فجعلوا يتصفّحون ويرَون بعض ما يشتهون حتى رُفع لهم سوادٌ عظيم فأَمُّوه حتى اتوه فاذا وصائفُ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزاتٌ فسأَلنَهم أن ينزلوا فاستحيَوْا أن يُجيبوهنَّ من اوَّلِ وَهْلةٍ فقالوا لا نستطيع او نمضيَ في حاجةٍ لنا . فحلَّفنَهم ان يَرجعوا إليهنَّ . ففعلوا وأتوهنَّ . فسأَلنَهم النُّزولَ فنزلوا . ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنَت لهم فلم تلبث أن جاءَت المرأة

---

١) العقيق كلّ مسيل ماء شقه السيل في الارض فأنهرهُ ووسّعهُ

فقالت: ادخلوا. فدخلنا على امرأةٍ بَرْزةٍ على فرشٍ لها فرحّبت وحيّت واذا كراسيُّ موضوعة فجلسنا جميعاً في صفٍ واحد كلُّ انسان على كرسي فقالت: إن أحببتم أن ندعو بصبيٍ لنا فنصيّحهُ ونعرُك أُذُنَه[١] فعلنا وإن شئتم بدأنا بالغداء فقلنا: بل تدعِينَ بالصبي ولن يفوتنا الغداء فأومأت بيدها الى بعض الخَدَم فلم يكن الّا كلا ولا[٢] حتى جاءت جارية جميلة قد سُتِرت بمُطرَفٍ فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهرُها ثم كُشِف عنها واذا جارية ذات جمالٍ قريبةٌ من جمالِ مولاتها فرحّبت بهم وحيّتهم. فقالت لها مولاتُها: خذي ويحكِ من قول النصيب عافى الله أبا مِحْجنٍ:

ألا هل من البَيْنِ المُفرّق من بُدِّ وهل مِثلُ ايامٍ بمُنقطَعِ السَّعْدِ
تمنّيتُ ايامي اولئكَ وانّى على عَهْدِ عادٍ لا تُعيدُ ولا تُبدي

فغنّته فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظٍ واشجى صوتٍ ثم قالت لها خذي ايضاً من قول ابي مِحْجن عافى الله أبا محجن:

ارقَ المحب وعادهُ سَهَدُهْ لِطوارقِ الهم التي ترِدُهْ
وذكرتُ من رقّت له كبِدي وأبى فليس ترقّ لي كَبِدُهْ
لا قومُهُ قومي ولا بَلَدي فنكونَ حيناً جيرةً بلدُهْ

(قال) فجاءت به احسنَ من الاوّلِ فكِدتُ اطيرُ سُروراً. ثم قالت لها: ويْلك خذي من قول ابي محجن عافى اللهُ ابا محجن:

فيا لكَ من ليلٍ تمتّعتُ طولَه وهل طائِفٌ من نائمٍ مُتمتِّعُ

---

١) هذا كناية عن العود والضرب بالعود
٢) اي بسرعة القول لا . لا

نعمْ ان ذا شجْوٍ متى يلقَ شجوَهُ   ولو نائمًا مستعتبٌ او مُودِّعُ
له حاجةٌ قد طالما أسرها   من الناسِ في صدْرٍ بها يتصدَّعُ

(قال) فجاءت والله بشيء حيَّرني واذهلني طرباً لحسنِ الغِناء وسُرورًا باختيارها الغناء في شعري وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنعة وجودتها و إحكامها . ثم قالت لها : خذي ايضاً من قول ابي محجن عافى الله أبا محجن :

يا أيُّها الركبُ إني غيرُ تابعِكم   حتى تُلِمُّوا وأنتم بي مُلِمُّونا
فما ارى مثلكم ركباً كشكلكمُ   يدعوهم ذو هَوًى إلّا يعُوجُونا
ام خبروني عن دائي بعلمِكمُ   وأعلمُ الناسِ بالداءِ الأطبّونا

قال نصيب : فوالله لقد زُهيتُ بما سمعت زهوًا خيِّل إليَّ أني من قريش وان الخلافةَ لي . ثم قالت : حسبُكِ يا بُنيَّة . هات الطعام يا غلامُ . فوثب الاحوص وكثيِّر وقالا : والله لا نطعَمُ لكِ طعاماً ولا نجلسُ لكِ في مجلس فقد أسأتِ عِشرتَنا واستخففتِ بنا وقدَّمتِ شعر هذا على اشعارنا واستمعتِ الغِناء فيه و إنَّ في أشعارنا لما يفضُلُ شِعره وفيها من الغِناء ما هو احسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلُّ ما كان مِني فأيُّ شِعرِكما افضلُ من شعرهِ أقولُك يا احوص :

يَقَرُّ بعيني ما يقَرُّ بعينها   واحسنُ شيءٍ ما به العينُ قرَّتِ

ام قولُكَ يا كثيِّر في عَزَّةَ :

وما حَسبَتْ ضَمرِيَّةٌ جُدَوِيَّةٌ   سِوى التَّيس ذي القرنَين انَّ لها بَعلا

قال فخرجا مُغضَبَينِ واحتبستني فتغدَّيت عندها وأمرت لي بثلثمائة دينار وحُلَّتين وطيب ثم دفعت إليَّ مائتي دينار وقالت : ادفعها

الى صاحبيك فإن قبلاها و إلّا فهي لك   فأتيتُها مَنازلَهما فاخبرتُهما القصّة   فامّا الاحوص فقبلها واما كثيّر فلم يقبلها وقال   لعن الله صاحِبتك وجائزتها ولعنك معها . فاخذتها وانصرفتُ . فسألتُ النصيب : ممّن المرأةُ فقال : من بني أميّة ولا أذكرُ اسمَها ما حييتُ لأحد

١٠٦　　امتحنتُهم فما وجدتُ فيهم طائلًا

حدَّث ابو عثمان المازني[1] قال : كان سبب طلب الواثق لي أنّ مخارقاً غنّى في مَجلسِهِ

أَظُلَيْمُ إِنَّ مُصابَكم رَجُلًا　　أهدى السَّلامَ تحيَّةً ظُلْمُ

فغنّاهُ مخارق « رجلٌ » فتابعَهُ بعضُ القوم وخالفه آخرون . فسأل الواثق عمَّن بقي من رؤساء النحويين فذكِرتُ له   فأمر بحملي   فلما وصلتُ اليه قال : مِمَّن الرجلُ . قلتُ : من بني مازن . قال : أمن مازنِ تميم ام من مازن قيس ام مازن ربيعة ام مازن اليمن   قلتُ : من مازن ربيعة . فقال لي : بَا اَسمك (يريد ما اَسمُك وهي لُغة كثيرة في قومنا) . فقلت على القياس : مَكرٌ (اي بكرٌ) فضحك فقال   إجلس واطبئنّ (يريد واطمئنّ) فجلست . فسألني عن البيت   فقلتُ : إنّ مصابكم رجلًا فقال : اينَ خبرُ « إنَّ » . قلتُ « ظُلْمُ » وهو الحرفُ الذي في آخر البيت

---

[1]) هو ابو عثمان المازني من اهل البصرة اخذ عن ابي عبيدة والاصمعي واخذ عنه ابو العباس المبرّد والفضل بن محمد اليزيدي وغيرهم . وله تصانيف كثيرة منها كتاب الألف واللام وكتاب العروض وكتاب التصريف وكتاب ما يلحن فيه العامّة وكتاب القوافي (طبقات الادباء ٢٤٢-٢٥١) توفي في السنة ٢٤٦ التي قُتل فيها المتوكل وبويع فيها المنتصر بالله

وقال الاخفش في خبره : وقلتُ له : ان مَعنى « مصابكم » إصابتُكم . مِثل ما تقول : إنَّ قتلَكم رجلًا حيّاكم ظلمٌ . ثم قلت : يا امير المؤمنين إن البيت كله مُعلّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله « ظلم » الا ترى انه لو قال : أظَليم « إن مصابكم رجلٌ اهدى السلام تحيّةً » لَما احتيج الى « ظلم » ولا كان له معنًى إلّا ان يجعل التحيةَ بالسلام ظلماً وذلك محال ويجب حينئذٍ ان يقول :

أَظليمُ إنّ مُصابَكم رجلٌ اهدى السلامَ تحيّةً ظلماً

ولا معنى لذاك ولا هو (لو كان له وجهٌ) معنى قول الشاعر في شعرهِ فقال : صدقتَ أَلكَ وَلَدٌ قلتُ : بُنَيّة لا غيرُ قال : فما قالت حين ودعتَها قلت قالت : أَنشَدَتْ شعرَ الاعشى

تقولُ ابنتي حين جدّ الرحيلُ أَرانا سواءٌ ومَن قد يَتِم
ابانا فلا رِمتَ من عندِنا فإنّا بخيرٍ اذا لم تَرِم
ارانا اذا أَضمرتْكَ البلادُ م نُجفَى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها قال : قلتُ لها قول جريرِ

ثِقي باللهِ ليس له شَريكٌ ومن عندِ الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : ثِق بالنجاح ان شاء الله تعالى . إنّ ها هنا قوماً يختلفون الى أولادنا فامتحِنهم . من كان منهم عالمًا يُنتَفَع به أَلزمناهم اياه . ومن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم . فأمر فجُمِعوا الي فامتحنتُهم فما وجدتُ فيهم طائلًا . وحذِروا ناحيتي فقلتُ : لا بأسَ على احد فلمّا رجعتُ اليه قال : كيف رأيتَهم قلتُ يَفضُلُ بعضهم بعضاً في علوم ويفضم الباقون في غيرها وكلٌّ يُحتاجُ اليه . فقال لي الواثق : اني خاطبتُ منهل

واحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره فقلت يا امير المؤمنين اكثرُ من تقدَّمَ منهم بهذه الصفة ولقد أنشدتُ فيهم

ان المُعلِّمَ لا يزال مُضعَّفاً ولو ابتنى فوق السماء بناءَ
من علَّم الصبيانَ اضنَوا عقلَهُ مِمَّا يُلاقي غُدوةً ومساءَ

١٠٧ دمعَتْ عيني فكففتها وتصبَّرتُ

حدث اسحاق الموصلي قال : دخلتُ على الرشيد بعَقِب وفاةِ أبي وذلك بعد شهر من يوم وفاتهِ. فلمَّا جلستُ ورأيت موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دمعتْ عيني فكففتها وتصبَّرتُ. ولمَحَني الرشيد فدعاني اليه وادناني منه. فقبَلتُ يده ورجله والارض بين يديه فاستعبر وكان رقيقاً فوثبتُ قائماً ثم قلتُ:

في بقاءِ الخليفة الميمونِ خلَفٌ من مُصيبة المحزونِ
لا يَضِيرُ المصابَ رُزءٌ اذا ما كان ذا مَفزَعٍ الى هارونِ

فقال لي كذاك واللهِ هو ولن تَفقِد من ابيك ما دمتُ حيّاً الّا شخصَه. وأمر بإضافةِ رزقهِ الى رزقي. فقلتُ: بل يأمر اميرُ المؤمنين به الى ولدهِ ففي خدمتي اياهُ ما يُغنيني. فقال: اجعلوا رزق ابراهيم لولده وأضعِفوا رزق اسحاق

١٠٨ طريق ضيّق وعْر صعب المُرتقَى

حدّث احمد بن عُبَيْد الله بن العَلاء قال غنَّيتُ يوماً بين يدي الواثق لحنَ اسحاق في:

هَزِئتْ أسماء مِنّي وقالت أنتَ يا ابنَ المَوصِليِّ كبيرُ

(قال) فنظر اليَّ مخارقٌ[1] نظرًا شَزرًا وعضَّ شفته عليَّ . فلمّا خرجنا من بين يدي الواثق قلتُ : يا أُستاذ لِمَ نظرتَ اليَّ ذلك النظر أأنكرتَ عليَّ شيئاً ام اخطأتُ في غنائي . فقالَ لي : ويْلك اتدري أيَّ صوتٍ غنّيتَ انَّ اسحاق جعلَ صيحةَ هذا الصوت بمنزلة طريقٍ وعر صعب المرتقى احدُ جانبَي ذلك الطريق حرفُ الجبل وعن جانبهِ الآخر الوادي فان مالَ مُرتقيه عن محجته الى جانب الوادي هوَى و إن مال الى الجانب الآخر نطحَهُ حرفُ الجبل فتكسّر صِرْ إليَّ غدًا حتى اصحّحه لك .

١٠٩ فِراقُك مِثلُ فراق الحياة

حدث حمّاد بن اسحاق عن ابيه قال لمّا ارادَ الفضلُ بن يحيي الخروج الى خراسان ودَّعتُهُ ثم أنشدتهُ بعد التوديع

فراقك مثل فراق الحياة وفقدُك مثلُ افتقادِ الدِّيَمْ[2]

عليك السلامُ فكم من وفاء افارقُ فيك وكم من كرَمْ

(قال) فضمّني اليه وأمرَ لي بألف دينار وقال لي يا أبا محمد لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعةٍ واودعتهما مَن يصلُحُ من الخارجين معنا

---

١ هو مخارق بن يحيَى بن ناوس الجزّار مولى الرشيد ويكنَى أبا المُهنّأ كنّاهُ بذلك الرشيد وكان قبلهُ لعاتكة وهي من المغنّيات المُحسنات المتقدّمات في الضرب كان منشؤهُ بالكوفة وكان ابوهُ جزّارًا وكان مخارق وهو صبي ينادي على ما يبيعهُ ابوه من اللحم فلما بانَ طيب صوتهِ علّمتهُ مولاته طرفًا من الغناء ثم ارادت بيعه فاشتراه ابراهيم الموصلي منها واهداه الى الفضل بن يحيى فاخذهُ الرشيد منه ثم اعتقهُ .

٢) الدِّيَم جمع ديمة وهي المطر يدوم بسكون

لأَهديتَ بذلك اليَّ أُنساً واذكرتَني بنفسِك ففعلتُ ذلك وطرحتهُ على بعض المُغنّين فكان كتابهُ لا يزال يَرِد عليَّ ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلّما غُنّي بهذا الصوت

١١٠ اسحاقُ احذقُ بصيدِ الدراهم مِنّي

حدَّث الاصمعي[١] قال : دخلتُ انا واسحاقُ الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ النفس[٢] فأنشدهُ اسحاق يقول :

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقصري فذلك شيء ما اليه سَبيلُ
اری الناسَ خُلانَ الكرام ولا أرى بخيلًا له حتى المماتِ خليلُ
وإنّي رايتُ البُخلَ يُزري[٣] بأهلهِ فاكرمتُ نفسي أن يُقالَ بخيلُ
ومن خيرِ حالاتِ الفتى لو عَلمتِهِ اذا نالَ خيرًا أن يكونَ يُنيلُ
فَعالي فَعالُ المكثرين تجمُّلًا ومالي كما قد تعلمينَ قليلُ
وكيفَ اخافُ الفقرَ او أُحرم الغِنى ورأيُ اميرِ المؤمنين جَميلُ

(قال) فقال الرشيد : لا تخَف إن شاء الله . ثم قال : لله درُّ ابياتٍ

---

١) هو ابو سعيد الاصمعي كان صاحب النحو واللغة والغريب والاخبار والمُلَح . قال الاخفش ما رأينا احدًا اعلم بالشعر من الاصمعي وخلف الّا ان الاصمعي اعلم الاثنين لانه كان نحويًا . وقال المُبرّد كان ابو زيد صاحب لغة وغريب ونحو وكان اكثر من الاصمعي في النحو . وكان ابو عبيدة اعلم من ابي زيد والاصمعي بالأنساب والايام والاخبار وكان للاصمعي يد غراء في اللغة لا يعرف فيها مثله

٢) لَقِسَت نفسه غَثَت وخبثت

٣) أزرى بهِ عابَه

تأتينا بها ما أشدَّ أصولَها واحسن فصولَها واقلَّ فضولَها . وأمرَ له بخمسين الف درهم. فقال له اسحاق وصفك والله يا اميرَ المؤمنين لشعري احسن منه فعلامَ آخذُ الجائزة فضحكَ الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة الف درهم قال الاصمعيّ : فعلمتُ يومئذٍ أنَّ اسحاق احذقُ بصيد الدراهم منّي

١١١ سمعتُ من الناحية اليُسرى خطأً

اخبر الحسين بن يحيي قال : حدثنا حمَّاد بن اسحاق عن ابيه قال دعاني المأمون وعنده ابراهيم بن المهدي وفي مَجلسِه عشرونَ جارية قد أجلس عشرًا عن يمينه وعشرًا عن يساره ومعهنَّ العيدان يضربنَ بها . فلمَّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليُسرى خطأً فأنكرته . فقال المأمون : يا اسحاق أتسمع خطأً فقلت نعم والله يا امير المؤمنين فقال لابراهيم : هل تسمع خطأً فقال : لا فأعاد عليّ السؤال . فقلتُ : بلى والله يا امير المؤمنين وانه لفي الجانب الأيسر . فأعادَ ابراهيم سمعَهُ الى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا امير المؤمنين ما في هذه الناحية خطأٌ . فقلت : يا امير المؤمنين مُر الجواريَ اللاواتي على اليمين يُسكتنَ فأمرَهنَّ فأمسكن . فقلتُ لابراهيم : هل تسمع خطأً . فتسمَّعَ ثم قال : ما هاهنا خطأ فقلتُ : يا امير المؤمنين يُسكن وتضرب الثامنة . فامسكن وضربت الثامنة . فعرف ابراهيم الخطأ فقال : نعم يا امير المؤمنين ها هنا خطأ فقال عند ذلك لابراهيم : يا ابراهيم لا تُمارِ[1] اسحق بعدها فإنّ

---

١) اي لا تجادله وتنازعه وتخالفه

رجلًا فهِمَ الخطأ بين ثمانين وتَرًا وعشرين حاقًّا لجديرٌ ألَّا تُماريَهُ فقال: صدقتَ يا اميرَ المؤمنين وقال الحسين بن يحيي في خبرِهِ: وكان في الاوتار كأنّها مثنًى فاسِدُ التسوية وقال فيه: فطرِبَ اميرُ المؤمنين وقال: لله دَرُّك يا ابا محمّد. فكنّني يومئذٍ

۱۱۲ اسمعتم بأعجب من هذا البخت قطّ

حدّث ابن فيلا الطُّنبُوري وكان قد دخل على الواثق وغنّاء قال: قال الواثق في بعض العشايا لا يبرح احدٌ من المغنّين الليلةَ فقد عزمتُ على الصَّبوح في غدٍ فأمسكوا جميعاً عن معارضته الّا اسحاق فانّه قال له: لا وحياتِك ما أبيتُ. (قال) فلا واللهِ ما كان له عند الواثق معارضةٌ اكثر من أن قال له: فبحياتي إلّا بكرتَ يا ابا محمد. (قال) فرأيتُ مخارقاً وعَلُّويه قد تقطّعا غيظاً. وبِتنا في بعض الحُجَر. فقالا لي: إجلِس على باب الحُجرة فاذا جاءَ إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله فلم نلبث أن جاءَ اسحاقُ مع احمد بن ابي دُواد يماشيه في زيّه وسواده وطويلتُهُ مِثلُ طويلتِهِ فدخلت فاعلمتُهما فقامت على عَلُّويه القيامة وقال: يا هؤلاء خِيناكَرٌ[1] يدخل الى الخليفة مع قاضي القضاة أسمعتم اعجب من هذا البخت قطّ فقال له مخارق: دع هذا عنك فقد والله بلغ ما اراد. ولم نلبث ان خرج ابن أبي دُوَاد ودُعِي بنا فدخلنا فاذا اسحاق جالس في صفّ الندماء لا يخرج منه فاذا امرَهُ الواثق ان يغنّي خرج من صفّهم قليلًا وأُتي بعود فغنّى الصوت الذي يأمرهُ به فاذا فرغ

---

۱) خيناكر مغنّي

من القدَح[1] قطع الصوت الذي يأمرهُ به حيث بلغَ ولم يُتمُّه ورجع الى صفّ الُجلساء.

١١٣ جاءَ وسلَّمَ سَلامَ الصديق على صديقهِ

حدث يزيد بن محمّد الُمهلَّبيّ قال: حدَّثني ابي قال: كنتُ انا وابو سعيد النَهديّ وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعين في بُستان لنا ونحنُ نشرب وهاشم يغنّينا فلما توسَّطنا امرَنا اذا نحن برجل قد دخل علينا البستان جميل الهيئة حسَن الزِيّ فلما بَصُرنا به من بعيد وثبَ هاشم يعدو حتى لقيَهُ فقبَّل يده وعانقَهُ ولم يعرفه احد منّا. فجاء وسلَّم سلامَ الصديق على صديقه ثم قال خُذوا في شأنكم فانّي اجتزتُ بكم فسمِعتُ غِناء ابي القاسم فأستخفني وأطربَني فدخلت إليكم واثقاً بانه لا يعاشر الّا فتًى ظريفاً يستحسنُ هذا الفعل ويسرُّه. ولي في هذا إمامٌ وهو عبدالله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام. فانّه سمعَ غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال انّما ادخلني عليكم مُغنّيكم لمّا غنى

قُلْ لكرامٍ بِبابِنا يَلِجوا ما في التصابي على الفتَى حرَجُ

وانا اعلمُ ان نفوسكم متعلقة بمعرفتي فمَن عرفني فقد اكتفى ومن جهلني فأنا ابرهيم الموصليّ. فقمنا فقبّلنا راسَه وسُررنا به أتمّ سرور وأنعقدت بيننا وبينهُ يومئذٍ مودَّة. ثم غاب عنّا غيبة طويلة. واذا هاشم قد أنفذَ الينا منه رُقعةً فيها:

---

١) «كان اذا غنَّى وفرغ الواثق من شرب قدَحهِ قطع الغناء ولم يُعد حرفًا إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه ثم يقطع ويضع العود من يده» (غ)

اهاشم هل لي من سبيلٍ الى التي تفرّقُ همَّ النفسِ في كل مَذهَبِ
مُعتقة صِرفاً كأنَّ شُعاعَها تَضرُّمُ نارٍ او توقُّدُ كَوكبِ
أَلَا رُبَّ يومٍ قد لَهوتُ وليلةٍ بها والفتَى النَهديُّ وابن اُهَلَّبِ
نُديرُ مُداماً بيننا بتحيَّةٍ وتفديَةٍ بالنفسِ والأمِّ والأبِ

١١٤ رشّت السَّماء رشاً وطشَّت[١]

حدَّثَ ابو عبدالله الهلاليّ قال : كُنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رشّت السِماء رشاً وطشَّت فأنشأ علي يقول:

يومُنا يومُ رَذاذٍ واصطِباحٍ والتذاذِ
فاسقني وابنَ نهيكٍ وابنَ يحيي بن مُعاذِ
من كُميتٍ عُتِقَتْ م للشَّيخ كِسرى بن قُباذِ
ليس للمرءِ من الهم م سواها مِن مَلاذِ

ثم قال لغُلامه : اذهب الى احمد بن يحيي بن معاذ وقل له : يقول لك اخوك : هذا يوم طيب فتعالَ انتَ وغلاماك بُنان وعثعث فجاء الى بابه الرسولُ وعليه غرماء لهُ فمنعوه الدخولَ عليه فقالَ لهم كم لكم عليه . قالوا : مائتا ألفِ دِرهم. فرجع الغلام الى عليّ بن هشام فاخبرهُ بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدَّين فقال له : احمل اليه مائتي الفِ درهم وجِئ به وبغلامَيهِ الساعةَ فحملها فجاء احمدُ بن يحيي ومعه غُلاماهُ . فقال لِعليّ بن هشام: لِمَ تحمَّلتَ هذا لي . انا والله مُنتظر مالًا يجيءُ فأعطيهم . فقال له : مالي ومالُك واحدٌ . فتغدَّيتُ معهما حتى جاءَت الحلواء . فقال : أكثِر من الحلواء . فلستَ تدخلُ معنا في ديواننا

---

١) طشّت امطرت مطرًا ضعيفًا

(يعني الشُّرب) . فأكلتُ وغسلتُ يدي فقال لغلامهِ بِسراج : احمل مع ابي عبدالله الهلالي ثلاثين الف درهم . فانصرفتُ وهي معي

١١٥ أَلِنْ جَانِبَكَ لِقومِكَ يُحِبُّوكَ وتَواضَع لهم يرفعُوكَ

لمَّا احتُضِرَ ذو الإِصبع[1] دعا ابنَه أُسيدًا فقال لهُ : يا بُنَيَّ إنَّ اباك قد فني وهو حي وعاشَ حتى سَئِمَ العيشَ وإِنّي مُوصيك بما إن حفِظتَه بلغتَ في قومِكَ ما بلغتُهُ فاحفظ عني أَلِنْ جانبَكَ لِقومكَ يُحِبُّوكَ وتَواضع لهم يرفعوكَ وابسُط لهم وجهك يُطيعوكَ ولا تستأثِر عليهم بشيءٍ يُسوِّدوكَ[2] وأكرِم صِغارَهم كما تُكرِم كِبارَهم يُكرِمْكَ كِبارُهم ويكبرْ على مَودَّتك صِغارُهم واسمح بمالك وأعزِزْ جارك وأَعِن مَن استعان بك وأكرم ضيفك وأسرِع النُّهضة في الصَّريخ[3] فإِنَّ لك أَجلًا لا يَعدُوكَ وصُن وجهك عن مسئَلة احدٍ شيئًا فبذلك يتمّ سُؤدُدك . ثم أنشأ يقول :

أَأُسيدُ إن مالًا مَلكتَ م فسِر به سيرًا جميلَا
آخِ الـكِرامَ إن استطعتَ م إلى إخائهم سبيلَا
واشرَبْ بكاسِهم وإن شَرِبوا به السُّمَّ الثَّميلا[4]

---

١) ذو الاصبع العدواني هو حرثان بن الحرث احد بني عدوان وهم بطن من جديلة . شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة . قيل انه سُمّي ذا الاصبع لانّ حية نهشته في اصبعه فيبست وعمّر ذو الاصبع عمرًا طويلًا حتى خرِف وأهتر

٢) اقاموك سيّدًا ٣) الصريخ الاستغاثة

٤) السُّمّ المُنقَع

أَهِنِ اللِّئامَ ولا تكن لإخائِهِم جمَلًا ذَلُولا
إن الكرامَ اذا تُوا خيهم وجدتَ لهم قَبولا
ودَعِ الذي يَعِدِ العشـ يرةَ أن يسيلَ ولَنْ يسيلا
أأسيدُ إن أزمعتَ من بآدٍ الى بلدٍ رَحيلا
فاحفظ وان شَحط المَزا رُ أَخا أخيك أوِ الزَّميلا(١)
واركب بنفسك ان همـ ـتَ بها الحزونةَ(٢) والسهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُن لِمن ترجو مَودَّته وَصولا
ودَعِ التوانيَ في الأُمو رِ وكُنْ لها سَلِساً ذَلولا
وآبسُط يمينك بالنَّدى وآمدُد لها باعاً طويلا
وابسُط يديك بما ملَكـ ـتَ وشَيِّدِ الحسَبَ الأَثيلا(٣)
وآعزم اذا حاولتَ أمـ ـرًا يَفرجُ الهمَّ الدَّخيلا
وآبذُلْ لِضيفك ذات رَحـ ـلِك(٤) مُكرِماً حتى يزولا
وآحلُل على الأيفاع(٥) لِلـ ـعافين وآجتَنِبِ المَسيلا
واذا القُرومُ تخاطرت يوماً وأرعَدتِ الخصيلا(٦)
فأهصِر كهَصْرِ اللَّيثِ م خَضَّب من فريستهِ التليلا(٧)
وآنزِل الى الهيجا اذا أبطالُها كَرِهوا النُّزولا
وإذا دُعيت الى المُهِمِ م فكُنْ لفادِحِه(٨) حمُولا

---

١) الزميل الرفيق ٢) الحَزْن ما غلظ من الارض في ارتفاع
٣) الشرف الأَصيل ٤) اي مَترلك ٥) اليفاع التلّ المُشرف
٦) ارعدت الخصيلَ اي ارعدت الفرائص ٧) التليل المصروع والتليل العُنق . خضّب بالدم ٨) الفادح الامر الصعب الباهظ

١١٦ لم يَشُكَّ الناسُ أَنَّا جِئنا من الحج

كان رجل يقالُ له سعد بن القعقاع يتندَّم[١] بشَّارًا في المجانة. فقال لبشار وهو ينادمُهُ: ويحك يا ابا مُعاذ قد نسبَنا الناسُ الى الزندقة فهل لك ان تحُجَّ بنا حجَّةً تَنفي ذلك عنَّا قال: نِعم ما رأيت. فاشتريا بعيرًا و محمِلًا وركبا فلما مرَّا بزُرارة[٢] قال له ويحك يا ابا مُعاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعُها مِل بنا الى زرارة نتنعَّم فيها. فاذا اقفلَ الحاجّ عارضناهم بالقادسية[٣] وجززْنا رؤوسنا فلم يَشكَّ الناسُ أنا جئنا من الحج. فقال له بشار: نِعم ما رأيتَ لولا خُبْثُ لِسانِك و إني اخاف ان تفضحَنا. قال: لا تخَفْ. فمالا الى زرارةَ فما زالا يشربانِ الخمرَ فلما نزلَ الحاجُّ بالقادسية راجعينَ أخذا بعيرًا و محمِلًا وجزَّا رؤوسهما وأقبلا وتلقَّاهما الناسُ يهنِّئونهما. فقال سعد بن القعقاع:

أَلَم تَرَني وبَشَّارًا حججنا ... وكان الحجُّ من خيرِ التِجارَه
خرجنــا طالِبي سَفرٍ بَعيدٍ ... فمالَ بنا الطريق الى زراره
فآب الناسُ قد حجّوا وبرّوا ... وأُبنا مُوقَرين من الخساره

١١٧ إذا غسَلٌ مجدوحٌ بمِسك و كافور

حدَّث بعضُ القُرَشيين قال قدم عبدالله بن جعفر على مُعاوية وافدًا فدخل عليه إنسان ثم ذهبَ الى معاوية فقال هذا ابنُ جعفر يشربُ النبيذ ويسمع الغِناء و يُحرِّك رأسهُ عليه فجاءَ معاوية متغيِّرًا

---

١) اي يُنادِم ٢) زرارة محلّة بالكوفة سمّيت بزرارة
٣) تبعد القادسية عن الكوفة ١٥ ميلًا

حتى دخل على ابن جعفر وعَزّةُ المَيْلاء بينَ يديه كالشمس الطالعة في كَواء البيت يُضيء بها البيت تُغنّيه على عُودِها وبين يديه عُسٌ فقال: ما هذا يا ابا جعفر. قال: اقسمتُ عليك يا اميرَ المؤمنين لَتشرَبَنَّ منه. فاذا عسلٌ مجدوح[١] بمسك وكافور فقال: هذا طيّب فما هذا الغِناء. قال: هذا شِعر حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام قال: فهل تُغنّي بغير هذا. قال نعم بالشعر الذي ياتيك به الاعرابي الجافي الأدفر[٢] القبيح المنظر فيُشافِهك بهِ فتُعطيهِ عليه وآخذهُ انا فأختارُ مَحاسِنَه ورقيقَ كلامه فاعطيه هذه الحسنة الوجه. الطيّبة الريح فترتّلهُ بهذا الصوت الحسَن. قال: فما تحريككَ رأسك قال: أريحيّة أجدُها اذا سمِعتُ الغِناء لو سُئِلتُ عندها لأعطيتُ ولو لَقِيتُ لأبلَيتُ[٣] فقال معاوية: قبَّح الله قوماً عرَّضوني لك. ثم خرج وبعث اليهِ بصِلة

١١٨ أتهزأ بالقرآن لا أمَّ لكَ

خرج يحيي بن الحكَم وهو امير على المدينة فبَصُر بشخص بالسبخة[٤] ممّا يلي مَسجِد الاحزاب فلمّا نظر الى يحيي بن الحكم جلس. فاستراب به فوجّهَ اعوانَه في طلبهِ فأُتي به كأنه امرأة في ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمتَشِط مُختضِب. فقال لهُ اعوانه: هذا ابنُ نُغاش المخنّث[٥] فقال له ما أحسبُك تقرأ من كتاب الله عزَّ وجلّ شيئاً

---

١) مجدوح مخلوط ٢) أدفر خبيث الرائحة

٣) اي لو لقيتُ العدوّ في الحرب لظهر بأسي

٤) السَّبخَة ارض ذات ملح ونزّ وايضاً ما يعلو الماء من الطُحلُب

٥) المخنّث المتكسّر المتثنّي والمتبختر في مِشيتهِ

إقرأ امَّ القُرآن . فقال : يا ابانا لو عرفتُ أُمهنَّ عرفتُ البنات . فقال له : أتهزأ بالقرآن لا امّ لك . وأمر بهِ فضُرِبت عنقه وصاح في المُخنثين : من جاءَ بواحدٍ منهم فله ثلاثائة درهم قال زرَجون المخنث : فخرجتُ بعد ذلك اريد العاليةَ فاذا بصوت دُفٍّ اعجبني فدنوتُ من الباب حتى فهمتُ نغماتِ قوم آنَس بهم ففتحتُه ودخلتُ فاذا بطُوَيْس قائم في يدهِ الدُّفّ يتغنّى . فلما رآني قال لي : ايهِ يا زَرَجون قتل يحيى بنُ الحكَم ابنَ نُغاش . قلتُ نعم . قال : اوَجعل في المخنثين ثلثمائة درهم . قلت : نعم . فاندفع يغنّي

ما بالُ أهلِك يا ربابُ خزرًا كأنّهم غِضابُ
إن زُرتُ اهلكِ أوْعَدوا وتَهِر دونهمُ كِلابُ

ثمّ قال لي ويحك أفما جعل فيَّ زيادةً ولا فضّلني عليهم في الُجعل بفضلي

١١٩ اذا وجهٌ قد بدا تتبعُه لحيةٌ حمراء

حدَّث حُسَين بن دحمان الاشقر قال كُنتُ بالمدينة فخلا لي الطريق وسطَ النهار فجعلتُ أتغنَّى

ما بالُ اهلكِ يا رَبابُ خُزرًا كأنّهم غِضابُ

(قال) فاذا خَوخةٌ قد فُتِحتْ واذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحية حمرا . فقال : يا هذا أسأتَ التأدية ومنعت القائلة ثم اندفع يغنّيه . فظننتُ أنَّ طُوَيساً قد نُشِر بعينهِ . فقلتُ له : أصلحكَ الله من اين لكَ هذا الغِناء . فقال : نشأتُ وانا غُلام حدَث أتبعُ المغنين وآخذ عنهم . فقالت لي أمّي :

يا بُنيَّ إنَّ المغنّي اذا كان قبيح الوجه لم يُلتَفَت الى غِنائه فدَع الغِناء واطلُب الفقه فانّه لا يضر معه قبحُ الوجه فتركتُ المغنين واتبعتُ الفقهاء. فبلغَ الله بي عزّ وجلّ ما ترى. فقلتُ له: فأَعِد جُعِلتُ فِداءك قال: لا ولا كرامة أتريد ان تقول: أخذتهُ عن مالك بن أنس واذا هو مالكُ بن أَنس ولم أعلم

١٢٠ ضَحِكَ اكثرُ النَّاسِ وقطعوا الصلاة

صلّى الدَّلالُ يوماً خلفَ الإمام بمكّة فقرأَ «وما لي لا أعبُدُ الذي فطَرَني وإليه تُرْجَعُونَ» فقال الدلالُ: لا أدري واللهِ فضحك اكثر الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالي صلاته دعا به وقال له وَيلك الا تدَع هذا المجونَ والسفَه. فقال له: قد كان عندي أنك تعبُد الله فلمّا سَمِعتك تستفهم ظننتُ أنك قد تَشكّكت في ربّك فثبّتك. فقال له انا شككتُ في ربّي وانتَ تُثبّتني إذهب لعنك الله ولا تعاوِدْ فأُبالغ والله في عُقوبتك

١٢١ رَفعَ القومِ أيديَهم كان صاعِقةٌ نزلت على الخوان

اخبر طُرَيح بن إسماعيل الثقفي[1] قال خصصتُ بالوليد بن يزيد حتى صِرتُ أخلو معه. فقلتُ لهُ ذاتَ يوم وانا معه في مَشربةٍ. يا امير

١) طريح ويُكنَى ابا الصلت كُنِّي بذلك لابنٍ كان له اسمهُ صلت نشأ طريح في دولة بنى امية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد وادركَ دولة بني العباس ومات في ايام المهديّ وكان الوليد له مُكرِماً مقدِّماً لانقطاعه اليه ولخؤولته من ثقيف

المؤمنين خالُك يُحِبّ أن تعلم شيئاً من خُلُقه قال : وما هو . قلتُ : لم اشرب شراباً قط ممزوجاً إلا من لبن او عسل . قال : قد عرفت ذاك ولم يباعدك من قلبي . (قال) ودخلتُ يوماً اليه وعنده الأمويون فقال لي : اليّ يا خالي . واقعدني الى جانبه . ثم أُتي بشرابٍ فشرِب ثم ناولني القدَح . فقلتُ : يا امير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب . قال : ليس لذلك اعطيتُك انما دفعتُه اليك لتناولَهُ الغلام . وغضِب فرفعَ القوم ايديهم كانَّ صاعقةً نزلت على الِخوان . فذهبتُ اقومُ . فقال : اقعُد فلمّا خلا البيت افترى عليّ ثم قال : اردتَ ان تفضحَني ولولا أنك خالي لضربتك الف سَوط . ثم نهى الحاجب عن إدخالي وقطع عني ارزاقي فمكثتُ ما شاء الله . ثم دخلتُ عليه يوماً مُتنكّرًا فلم يشعُر الّا وانا بين يديهِ وانا اقول :

يا ابنَ الخلائفِ ما لي بعد تقربَةٍ ... إليكَ أُقصَى وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ
ما لي أُذادُ[1] وأُقصَى حين أقصِدكم ... كما تُوُقِّيَ مِن ذي العُرَّةِ الجرَبُ
كأنني لم يكُن بيني وبينَكُمُ ... إلٌّ ولا خُلّةٌ[2] تُرعَى ولا نَسَبُ
لو كان بالوُدِّ يُدنَى منك أزلفني ... بِقُربك الوُدُّ والإشفاق والحَدَبُ[3]
وكنتُ دون رجالٍ قد جعلتَهمُ ... دوني إذا ما رأَوْني مُقبِلًا قطَبوا[4]
إن يسمعوا الخيرَ يُخفوهُ وإن سَمِعوا ... شرًّا اذاعوا وإن لم يسمَعوا كَذَبوا

---

١) أُذاد أُدفَع وأُطرَد
٢) الإلّ القرابة الخُلّة الصداقة
٣) الحدَب الانعطاف . أزلفني قرّبني
٤) قطب زوَى ما بين عينيه وعبس

رأوا صُدودَكَ عنّي في اللقاءِ فقَدْ تحدَّثوا أَن حَبْلي مِنكَ مُنقضِبٌ[١]
فذو الشماتة مَسرورٌ بهَيْضَتِنا[٢] وذُو النصيحة والإشفاقِ مُكتئِبُ
(قال) فتبسَّمَ وأمرني بالجلوس فجلست ورجع اليَّ وقال: إياكَ ان تُعاوِدَ

١٢٢ طلعَ ابنُ عائشة يَرسُفُ في قَيْدِهِ

إنَّ الوليد بن يَزيد لمَّا وَلِيَ الخلافةَ بعثَ الى المغنّين بالمدينة ومكَّة فأشخصهم اليه وأمرهم ان يتفرقوا ولا يدخلوا نهارًا لئلَّا يُعرَفوا وكانَ اذ ذاكَ يتستَّر في أمرهِ ولا يُظهِرهُ فسبَقَهم ابن عائشة فدخلَ نَهارًا وشُهِرَ أَمرُهُ فحبسَهُ الوليدُ وامرَ به فقُيِّدَ. وأَذنَ للمغنّين وفيهم مَعبَد. فدخلوا عليه دَخَلات ثم انه جمعَهم ليلةً فغنَّوا له حتى طرِبَ وطابت نفسُهُ. فلما رأى ذلك منه معبد قال لهم: اخوكم ابن عائشة فيما قد عَلِمتم فاطلبو فيه ثم قال: يا امير المؤمنين كيف ترى مجلسنا هذا. قال: حسناً لذيذًا. قال فكيف لو رأيتَ ابن عائشة وسمِعتَ ما عِندَه. قال فعليَّ به فطلعَ ابنُ عائشة يرسُفُ[٣] في قيدِهِ فلما نظر اليه الوليد اندفع ابنُ عائشة فغنَّاه في شِعر طريح والصنعةُ فيه لهُ:

أنتَ ابنُ مُسلَنطِحِ[٤] البِطاح ولم تُطرِقْ عَلَيكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاحَ به الوليد: اكسِروا قيدَه وفكُّوا عنه. فلم يزل عنده أثيرًا مُكرماً

---

١) الحبلُ الوِصال منقضب منقطع ٢) هيضتنا اي ما فسد بيننا
٣) الرسْفُ هو المشي في القيد رويدًا
٤) المسلنطح الطويل الواسع في اللسان (٣: ٣١٩) يروى البيت لابن قيس الرقيات. وفي اللسان (٣: ٢٢٣) يروى مع بيتين آخرين لطُرَيح. وهو

١٢٣ اذا كان لكَ عقل فلكَ اصل

قال ابو عُبَيدة سمعَ عمرُ بن الخطَّاب رَضي اللهُ عنه رجُلًا يقول لآخر يفخَر عليه: انا ابنُ مُسْلَنطِح البِطاح وابنُ كذا وكذا فقال له عمر: إن كانَ لك عقل فلكَ اصل. وإن كان لك خُلُق فلك شرَف. وإن كان لكَ تقوى فلكَ كرَم. وإلَّا فذاكَ الحمار خيرٌ منك. أحبُّكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سَمْتاً[1]. فاذا تكلَّمتم فأبيَنكم مَنطِقاً. فاذا اختبرناكم فأحسنكم فِعلًا

١٢٤ بالباب رجل راكب على نجيب متلثّم يستاذِن

كان ابو العباس جالِساً في مَجلِسه على سريره وبنو هاشِم دونه على الكراسي وبنو أميَّة على الوسائد قد ثُنِيَتْ لهم. وكانوا في ايام دولتهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السَّرير ويجلس بنو هاشِم على الكراسي. فدخل الحاجب فقال: يا امير المؤمنين بالباب رجل حِجازي اسود راكب على نجيب متلثّم يستأذن ولا يُخبر باسمه ويحلف ألَّا يَحسِرَ اللِّثام عن وجهه حتى يراك. قال: هذا مَولاي سُدَيف يدخل. فدخل

الصواب وروى في الموضعين « تعطف » عوض « تطرق » وقال « الخني والولج الازقة والولج النواحي »

وفي اللسان (١٢ : ٩٠) قال: « وقوله ولم تُطرِق عليه الُخنيّ والولج اي لم يُوضَع بعضه على بعض فتراكَب » « الخني ما انخفض من الارض . والواج كل متَّسع في الوادي . . . اي لم تكن بين الخني ولا الولج فيخفى . كانكَ اي لست في موضع خفي من الحسب » (غ ٤ : ٨١)

١) السمت هيئة اهل الخير يقال ما احسنَ سمتَه اي هَدْيهُ اي حسن هيئته ومنظره في الدين

فلما نظر الى ابي العبّاس وبنو أميّة حولَه حدرَ اللثام عن وجهِهِ وأنشأَ يقول:

أَصبح الْملكُ ثابتَ الأَساسِ بالبهاليل[١] من بني العباسِ
بالصُّدورِ المتقدّمين قديماً والرؤوسِ القماقِم الرُّوَّاسِ[٢]

الى ان قال:

أَنزلوها بحيث أَنزلها اللهُ م بدارِ الهوانِ والإتعاسِ
خوفُهم أظهر التودّدَ منهم وبهم منكمُ كحزّ المَواسِي[٣]
أَقْصِهم ايها الخليفةُ واحسِم عنكَ بالسيف شأفة[٤] الأرجاس
واذكرَنْ مَصرعَ الحسينِ وزيدٍ وقتيلٍ بجانبِ المِهراسِ[٥]
والإمامَ[٦] الذي بحرّان امسى رهنَ قبرٍ وغُربةٍ وتناسِي
فلقد ساءَني وساءَ سوائي قُربهم من نَمارقٍ[٧] وكراسي

فتغيّر لونُ ابي العباس وأخذهُ زَمَعٌ[٨] ورِعدة فالتفتَ بعضُ ولدِ سليمان بن عبد الملك الى رجل منهم وكان الى جنبه فقال قتلَنا والله العبدُ ثم اقبل ابو العباس عليهم فقال: يا بني الفواعِل أَرى قتلاكم من اهلي قد سلَفوا وأنتم احياء تتلذّذون في الدُّنيا خُذوهم فأَخذتهم

---

١) البهلول السيّد الجامع لكلّ خير
٢) القمقام السيّد الكثير العطاء الرواس الحُكّام
٣) ألم من غيظ كجرح السكاكين ٤) الشأفة الاصل
٥) المهراس ماء بجبل أُحُد . والقتيل هو حمزة بن عبد المطلب
٦) الامام ابراهيم صاحب الدعوة العباسية اخو ابي العباس قتله مروان آخر خلفاء بني امية
٧) نمارق وسائد ٨) الزمع شبه الرِعدة

الخراسانيّةُ بالكافركوبات[١] فأهمدوا. الّا ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فانّه استجار بداودَ بن عليّ وقال له ان أبي لم يكن كآبائهم وقد علِمتَ صَنيعتَه إليكم فأجارهُ واستوهبَهُ من السفّاح وقال له: قد علمتَ يا اميرَ المؤمنين صَنيع ابيه الينا فوهبَهُ له وقال له لا تُريَنِي وجهَه وليكن بحيث تأمَنُهُ وكتب الى عُمّالِهِ في النواحي بقتل بني اميّة

إن ابا العباس دعا بالغداء حين قُتلوا وامر ببِساط فبُسِط عليهم وجلسَ فوقه يأكل وهم يضطربون تحتَهُ فلما فرغَ من الاكلِ قال: ما أعلَمُني اكلتُ اكلةً قطّ اهنأ ولا اطيبَ لِنفسي منها. فلمّا فرغ قال: جُرّوهم بأرجُلِهِم فألقُوا في الطريق يلعنُهم الناس امواتاً كما لعنوهم أحياء (قال) فرأيت الكلابَ تجرّ بأرجلهم وعليهم سراويلاتُ الوَشْي حتى انتنوا ثم حُفِرت لهمُ بئر فألقوا فيها[٢]

١٢٥ علِمَتْ انّها غلِطتْ وأنّها إن مرّت فيه قُتِلت

أخبرَ عبدالله بن مُصعَب قال: إعترض هارون الرشيد قَينةً فغنّته:

ما نقَموا من بني أُميّةَ إلّا م أنّهم يَحلُمون إن غَضِبوا[٣]

فلمّا ابتدأت به تغيّر وجه الرشيد وعلمت أنها غَلِطت وأنها إن مرّت فيه قُتِلت. فغنّت:

---

١) اسم اعجمي يراد به آلة للضرب والقتل ٢) هذه معاملة همجية لا يستحقها بنو اميّة مع ما كانوا عليه من الكرم وسعة الخلق وتنشيط الآداب

٣) والبيت الذي بعدهُ:

وانّهم سادةُ المُلوكِ فما تصلُح الّا علَيهم العربُ

ما نقموا من بني امية الّا م انهم يجهلون إن غضبوا
وأنهم مَعدِنُ النِفاق فما تَفسُد الّا عليهم العرَبُ

فقال الرشيد ليحيي بن خالد : أسمِعْتَ يا ابا عليّ فقال : يا اميرَ المؤمنين تُبتاعُ و تُسنَى لها الجائزة ويُعجّلُ الإذنُ ليسكُن قلبُها . قال : ذلك جزاؤها . قومي فأنتِ منّي بحيث تحبّين . (قال) فأُغمِي على الجارية . فقال يحيي بن خالد :

جُزيتَ اميرَ المؤمنين بأَمنها مِن اللهِ جنَّاتٍ تفوزُ بعَدْنها[1]

١٢٦ قد نَفِدَ نبيذُنا

كان ابن هَرمة مُدمِناً للشرابِ مُغرَماً به فأتي ابا عمرو بن ابي راشد مولى عَذوان فأكرمَه وسقاهُ اياماً ثلاثة . فدعا ابنُ هرمة بالنبيذ فقال له غلامٌ لأَبي عمرو بن ابي راشد : قد نفدَ نبيذنا فنزع ابن هرمة رِداءَهُ عن ظهرهِ فقال للغلام اذهب بهِ الى ابن حونك نبَّاذ كان بالمدينة فارهنهُ عندَه وأتِنا بنبيذ ففعل . وجاءَ ابن ابي راشد فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ فقال له : اين رِداؤكَ يا ابا إسحاق . فقال نصفٌ في القدَح ونصفٌ في بطنِك

ثمّ قدم ابن هرمة المدينة وجهّز عيالَهُ لينقلهم الى عبدالله بن حسن واكترى من رجل من مُزَينة . فبينا هو قد شدَّ مَتاعَهُ وحمله والكريَّ ينتظره ان يتحمَّل اذ اتاه صديق له فقال : أَي ابا اسحاق عندي والله

---

١) عدنَ البلدَ توطّنهُ . جنَّات عدنٍ اي جَنَّات اقامة لمكان الخُلد أي تتوطّن وسطَ الجنَّة

نبيذ يُسقِط لحم الوجهِ فقال ويحك اما ترانا على مِثل هذه الحال أعليها يُمكِن الشراب . فقال : انما هي ثلاثة لا تزِدْ عليهنَّ شيئاً فمضى معه وهم وقوف ينظرون فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ثم أُتي به وهو سكرانُ فطُرِح في شِقّ المَحمِل وعادلته امرأته تلومه وتعذُله وقالت : قد افسدَ عليك هذا النبيذ دينك ودُنياك فلو تعلّلتَ عنه بهذه الالبان . فرفع رأسه اليها وقال :

لا نبتغي لبن البعير وعندنا ماء الزَّبيب وناطِفُ المِعصارِ

١٢٧ انا رجل تاجر خرجت مع تجار

خرج يونُس الكاتب من المدينة الى الشام في تجارة . فبلغ الوليدَ ابن يزيد مكانُه فلم يشعر يونس الابرُسلهِ قد دخلوا عليه الخانَ فقالوا : أَجِبِ الامير . والوليد اذ ذاك أميرٌ (قال) فنهضتُ معهم حتى ادخلوني على الامير لا ادري من هو الّا انّه من احسن الناس وجهاً وأنبلِهم . فسلّمتُ عليه فأمرني بالجلوس ثم دعا بالشراب والجواري فكنّا يومَنا وليلَتَنا في امرٍ عجيب وغنّيته فأُعجِب بغنائي الى أن غنّيته :

إن يَعِشْ مُصعَبٌ فنحنُ بخير قد اتانا مِن عَيشِنا من نُرَجّي

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت فقال : ما لَكَ . فأخذتُ أعتذر من غِنائي بشعرٍ في مُصعَب . فضحِكَ وقال : إن مُصعباً قد مضى وانقطع أثرهُ ولا عداوةَ بيني وبينهُ وانما اريد الغِناء . فأمضِ الصوتَ فعُدتُ فيه فغنّيته . فلم يزل يستعيدُنيه حتى اصبح . فشرِب مُصطبِحاً وهو يستعيدُني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة ايام . ثم قلت له : جعلني الله فِداءَ

الامير . انا رجل تاجر خرجتُ مع تُجار واخاف أَن يرتحلوا فيضيعَ مالي .
فقال لي : انت تغدو غدًا . وشرب باقي ليلته وأمر لي بثلاثة آلاف دينار
فحُمِلت اليَّ وغدوتُ الى اصحابي فلمّا خرجت من عنده سأَلتُ عنه
فقيل لي هذا الامير الوليد بن يزيد وليّ عهد امير المؤمنين هِشام
فلما استُخلِف بعث اليَّ فأَتيتهُ فلم ازل معه حتى قُتل

١٢٨ ما اعتدل الحقّ والباطل قبل الليلة قطّ

ان اسماعيل بن يَسار[1] النسائي كان ينزل في موضع له حُدَيلة وكان له جُلساء يتحدَّثون عنده ففقدَهم أَياماً وسأَل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدثون اليه طيّب الحديث حُلوٍ ظريف قَدِم عليهم يُسمَّى محمدًا ويُكنى ابا قيس . فجاء اسماعيل فوقف عليهم . فسمع الرجلُ القوم يقولون : قد جاءَ صديقُنا اسماعيل بن يَسار فاقبل عليه فقال له : انت اسماعيل قال : نعم قال : رحم الله ابويك فانهما سمَّياك باسم صادقِ الوعدِ وانت اكذبُ الناس فقال له اسماعيل : ما اسمُكَ . قال : محمد . قال : ابو من . قال : ابو قيس . قال : لا ولكن لا رحمَ الله ابويك فانهما

---

١) كان اسماعيل بن يسار منقطعاً الى آل الزُّبير . فلما افضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وفدَ اليه مع عُروة بن الزبير ومدَحه ومدح الخلفاء من ولدهِ بعدَهُ وكان طيبًا مليحاً مُندّرًا (مندّر اي يأتي بالنوادر) . بطال (اي كثير الهزل) مليح الشعر ولهُ اشعار كثيرة وكان كالمنقطع الى عروة بن الزبير . وانما سُمّي النسائي لان اباه كان يصنع طعام العرس ويبيعهُ فيشتريه منه من المتجمّلين وممّن لم تبلغ حالُه اصطناع ذلك ولاسماعيل ابنٌ يقال له ابراهيم شاعر ايضاً وله قصيدة يفتخر فيها بالعجم

سمّياك باسم نبي وكنّياك بكُنْيَةِ قرد. فأُفحِم الرجلُ وضحك القومُ
ولم يعُد الى مجالستهم فعادوا الى مجالسة اسماعيل

لما خرج عُروة بن الزُّبير الى الشام يريد الوليد بن عبد الملك اخرجَ
معه اسماعيل بن يسار النِسائي وكان منقطعاً الى آل الزبير. فعادَله. فقال
عروة ليلةً من الليالي لبعض غِلمانه: انظر كيف ترى المَحمِل. قال: أَراهُ
مُعتدلًا قال اسماعيل الله اكبر ما اعتدل الحقّ والباطل قبلَ الليلة
قطّ. فضحك عروة وكان يستخفُّ اسماعيل ويستطيبه

١٢٩ اي مروانية كانت لك او لأَبيك

استأذن اسماعيل بن يَسار النِسائي على الغمر بن يزيد بن عبد
الملك يوماً فحجبَهُ ساعةً ثم أَذِن له. فدخل يبكي فقال له الغمر
ما لكَ يا أبا فائد تبكي. قال: وكيف لا أَبكي وانا على مَرْوانيتي
ومروانية ابي أُحجَب عنك فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي فما
سكتَ حتى وصلَهُ الغمر بجُملة لها قَدْر. وخرج من عنده. فلحقهُ رجل
فقال له: أَخبرني ويلك يا اسماعيل. أَي مروانية كانت لك ولأَبيك
قال: بُغضُنا إياهم. امرأَته طالق ان لم يكن يلعَن مروانَ وآله كلّ يوم
مكان التسبيح وان لم يكن ابوه حضره الموت فقيل له: قُل لا إِله الّا
الله فقال: لعنَ الله مروان. تقرّباً بذلك الى الله تعالى وابدالًا له من
التوحيد وإِقامةً له مُقامَهُ

١٣٠ أمر بي فجُرِدتُ فضُرِبتُ ثلاثمائة وستين سوطاً

حدَّث ابراهيم المَوْصلي[1] قال: كان المَهْدي لا يشرب فأرادني على ملازمته وتركِ الشرب فأبيتُ عليه وكنت أَغيب عنه الأيامَ فاذا جئته جئته مُنتشياً فغاظه ذلك مني فضربني وحبسني فحذِقتُ الكتابة والقراءة في الحبس. ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازلَ الناس والتبذُّل معهم فقلت: يا امير المؤمنين انما تعلّمتُ هذه الصناعة للذَّتي وعشرتي لإخواني ولو امكنني تركُها لتركتُها وجميع ما انا فيه لله جلّ وعزّ. فغضب غضباً شديدًا وقال: لا تدخل على موسى وهارون البتَّة فوالله لَئِن دخلتَ عليهما لأَفعلنَّ ولأَصنعنّ. فقلت: نعم. ثم بلغَهُ اني دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما

قال ابراهيم أنّه كان معهما في نُزْهة لهما ومعهم أبانُ الخادم. فسعى بهما وبي الى المَهدي وحدَّثه بما كنَّا فيه فدعاني فسألني فأنكرتُ فأمر بي فجُرّدتُ فضُربت ثلاثمائة وستين سوطاً. فقلت له وهو يضربني

---

[1] هو ابراهيم بن ميمون اصله من فارس ولهم بيت شريف في العجم. كان ميمون هرب من جور عمال بعض بني أُمية فنزل بالكوفة ومات هناك في الطاعون الجارف وخلّف ابراهيم طفلًا. وكان سبب قولهم ابراهيم الموصلي انه لما نشأ وادركَ صحبَ الفتيانَ واشتهى الغناء فطلبهُ واشتدّ اخواله عليه في ذلك فهرب منهم الى الموصل فاقام بها فلما رجع الى الكوفة قال له اخوانه من الفتيان مرحبا بالفتى الموصلي فلُقّب به ومحاسنهُ في الغناء اشهر من أن توصف

إنَّ جُرمي ليس من الأَجرام التي يحلّ لك بها سفك دمي. والله لو كان سِرُّ ابنيكَ تحت قدمَيَّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا. ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبان الساعي العبدِ. فلما قلتُ لهُ هذا ضربني بالسيف في جفنهِ فشجّني به وسقطتُ مغشياً عليَّ ساعةً. ثم فتحتُ عينيَّ فوقعتا على عينَي المهدي فرأيتُهما عيني نادم. وقال لعبدالله بن مالك: خُذه إليك. (قال)وقبل ذلك ما تناول عبدالله بن مالك السَّوط من يد سَلّام الأبرش فضربني فكان ضربُ عبدالله عندي بعد ضرب سلام عافيةً ثم اخرجني عبدالله الى دارهِ وانا أرى الدنيا في عيني صفراء وخضراء من حرّ السوط. وأمرَهُ ان يتخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيّرني فيه. فدعا عبدالله بكبش فذُبِح وسُلِخ وألبسَني جلده ليسكُن الضرب ودفعني الى خادم له يُقال له ابو عثمان سعيد التركي فصيّرني في ذلك القبر ووكل بي جارية يقال لها جَشَّة. فتأذّيتُ بنزّ كان في ذلك القبر وبالبقّ وكان فيه خلاء أستريح اليه فقلت لجشة اطلُبي لي أُجرّة عليها فحم وكُندَر يذهب عنّي هذا البقّ فأتتني بذلك فلمَّا دخّنتُ اظلم القبر علي وكادت نفسي تخرُج من الغمّ فأسترحتُ من أذاه الى النزّ فألصقتُ بهِ أنفي حتى خفّ الدخان فلمَّا ظننتُ أني قد استرحتُ ممَّا كنتُ فيه اذا حيّتان مُقبلتان تحوي من شق القبر تدورانِ حولي بحفيف شديد فهممتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليُمنَى والأُخرى بيدي اليُسرَى فإما علي وإمَّا لي ثم كُفيتُهما فدخلتا من الثقب الذي خرجتا منه. فمكثتُ في ذلك القبر ما شاءَ الله ثم أخرِجتُ منه ووُجّهتُ الى ابي سمعان الخادم أسأله ان يبيعني جشة لأُكافِئها عمَّا أولتني ففعل فزوَّجتُها من

حاجب لي ولم تزل عندنا قال اسحق[1]: مكثت عندنا حتى ماتت . وبقيت بنت لها يقال لها جمعة فزوجتها من مولى لي في سنة اربع وثلاثين ومائتين. قال ابراهيم: وقلتُ في الحبس

أَلا طال ليلي أُراعي النجومَ أُعالجُ في الساقِ كبلًا ثقيلا
بدارِ الهوانِ وشرِّ الديارِ أُسامُ بها الخسفَ صبرًا جميلا
كثيرَ الأَخلّاءِ عند الرَّخاءِ فلمّا حُبستُ أَراهم قليلا
لِطولِ بلائي مَلَّ الصَّديقُ فلا يأمَننَّ خليلٌ خليلا

ثم اخرجني المهدي وأحلفني بالطلاق والعِتاق وكلّ يمين لا فسحةَ لي فيها أَلّا ادخلَ على ابنيه موسى وهارون ابدًا ولا اغنّيهما وخلّى سبيلي

قال: وصنعتُ في الحبس لحنًا في شعر ابي العتاهية لما حبسَهُ المهدي بسبب عُتبة وهو:

أَلا ويح قلبي من نجيِّ البلابلِ ويا ويح ساقي من قُروحِ السَّلاسلِ
ويا ويحَ نفسي ويحَها ثم ويحها أَلم تنجُ يومًا من شِباكِ الحبائلِ
ويا ويحَ عيني قد اضر بها البُكا فلم يُغنِ عنها طِبُّ ما في المكاحِلِ
ذريني أُعلِّلُ نفسي اليومَ إِنَّها رَهينة رَمسٍ في ثرًى وجنادِلِ
ذريني اعلّل بالشراب فقد أَرى بَقيَّةَ عيشي هذه غير طائلِ

قال حماد: فلمّا وَليَ موسى الهادي الخلافةَ استتر جدّي منه ولم يظهر له بسبب الأَيمان التي حلّفهُ بها المهدي فكانت منازلنا تُكبَس

---

[1] هو اسحق بن ابراهيم الموصلي وسيأتي وصفه

في كل وقت واهلنا مروَّعون بطلبهِ حتي اصابوه فمضوا به اليه . فلمَّا عاينه قال : يا سيّدي فارقتُ أمّ ولدي واعزّ خلق الله عليّ . قال اسحق : فموَّلَهُ والله الهادي وخوَّلَهُ وبحسبك انه أخذ منه في يوم واحد مائة وخمسين الف دينار . ولو عاشَ لنا لَبَنَينا حيطانَ دورنا بالذهب والفضَّة

١٣١ لا أَتركُ واحدًا مِنكما لِصاحبهِ

حدث اسحاق الموصلي قال لَقي الفضل بن يحيي ابي وهو خارج من عند الفضل بن الربيع وكانا متجاورين في الشماسية[1] فقال : من اين يا ابا اسحاق امن عند الفضل بن الربيع الى الفضل بن يحيي هذان واللهِ أمرانِ لا يجتمعان الك . فقال : واللهِ لَئِن لم يكن فيَّ ما يَتَّسع لكما حتى يكون الوفاء لكما جميعاً واحدًا ما فيَّ خيرٌ . والله لا أَترك واحدًا منكما لصاحبهِ . فمَن قبلني على هذا قبلني ومن لم يقبلني فهو اعلم . فقال له الفضل ابن يحيي : انت عندي غير مُتَّهَم والامرُ كما قلتَ وقد قبلتك على ذلك

١٣٢ دخلتُ فاذا جَنَّةٌ من الجِنان في احسن تُربة واغزرها ماء

حدَّث اسحاق المَوْصِليّ قال قال ابي : خرجتُ مع الرشيد الى الحِيرة فساعةَ نزل بها دعا بالغداء فتغدى ثم نام . فاغتنمتُ قائلتَهُ فذهبتُ فركبتُ أَدُور في ظهر الحيرة . فنظرتُ الى بُستان قصدتُه فاذا على بابهِ شابٌ حسن الوجه فاستأذنتُه في الدخول فأذِن لي فدخلتُ فاذا جنَّة من الجنان في احسن تربة واغزرها ماء فخرجتُ فقلتُ له لمن هذا البستان فقال : لبعض الاشاعثة .[2] فقلتُ له : أَيُباع . فقال : نعم وهو على

---

١) محلّه في بغداد ٢) نسبة الى الأشعث بن قيس

سوم[1] فقلتُ: كم بلغ. فقال: اربعة عشر ألف دينار. قلتُ: وما يسمّى هذا الموضع. قال: شُمارَى. فقلتُ:

جِنانُ شُمارى ليس مثلَكِ مَنظرٌ لذِي رَمَدٍ اعيا عليه طَبيبُ
تُرابكِ كافورٌ ونَوْرُكِ زهرةٌ لها ارج[2] بعد الهُدوِّ يطيب

قال: وحضرتني فيه صَنعة حسَنةٌ فلمّا جلس الرشيدُ وامر بالغِناء غنّيته إِياه اولَ ما غنَّيت. قال: ويلك واين شُمارى. فاخبرتهُ القُصَّة فأمر لي باربعة عشرَ الف دينار. وغمزني جعفر بن يحيي فقال: خذ توقِيعه بها إليَّ. وتشاغلَ الرشيدُ عنّي. فأعدتُ الصوتَ. فقال: ويلكم اعطوا هذا دنانيره. فوثبتُ وقلت: يا سيّدي وَقّعِ لي بها الى جعفر بن يحيي. فقال: أفعلُ ووقّع لي بها اليه فلمّا حصلَ التوقيع عند جعفر أطلقَ لي المال وخمسة آلاف دينار من عندهِ. فلمّا حصل المالُ عندي كان احبَّ اليّ واحسن في عيني مِن شُمارَى

۱۳۳ قُضي الامرُ الذي فيه تستفتيان

حدّث ابراهيم بن المَهديّ قال: ارسلَ اليَّ محمد بن زُبَيدة[3] في ليلة من لَيالي الصيف مُقمِرة يا عم إِنَّ الحرب بيني وبين طاهِر بن الُحسَين قد سكَنَت فصِرْ إِليَّ فإنّي اليك مُشتاق. فجئتهُ وقد بُسِط له

١) على سوم اي يُعرَض للبيع
٢) لها أرَجٌ تفوح منها رائحة طيّبة
٣) محمّد بن زبيدة هو الخليفة الامين وكانت الحرب بينه وبين اخيه المامون. وكان طاهر بن الحسين قائد جيوش المامون فانتصر وقتل الامين وخلص الامر للمأمون (راجع مختصر تاريخ الدول ٢٢٩-٢٣٣)

على سطح زُبيدة وعنده سليمان بن جعفر عليه كسا. رُوذَباري وقَلَنْسُوَةٌ طويلة وجواريه بين يديه وضُعفُ جاريته عنده فقال لها غنّيني فقد سُررتُ بعُمومتي فاندفعت تغنّيه:

هُمُ قتلوهُ كي يكونوا مكانَهُ كما فعلَت يوماً بكِسرى مَرازِبُه
بني هاشِم كيف التَواصُلُ بيننا وعند أخيهِ سيفهُ ونجائبُهْ

هكذا غنّت وانما هو: وعند عليٍ سيفه ونجائبُهْ

فغضب وتطيّرَ وقال لها: ما قِصّتكِ ويحكِ. انثني وأنتبهي وغنّيني ما يسُرُّني فاندفعت وغنّت:

هذا مقامُ مُطرَّدٍ هُدِمَت منازلهُ ودُورُهُ

فازدادَ تَطيُّرًا ثم قال لها: ويحك إنتهي غنّيني غير هذا. فغنّت:

كُلَيبٌ لَعَمري كان اكثرَ ناصِرًا وأيسرَ جُرماً منك ضُرِجَ بالدَمِ

فقال لها: قومي الى لعنة الله فوثبَت وكان بين يديه قدحُ بَلُّور وكان لِحبّهِ اياه سمّاهُ باسمه محمدًا فاصابَه طرَفُ ذَيلها فسقطَ على بعض الصواني فانكسر وتفتّت فأقبل علي وقال: أرَى والله يا عمّ أنّ هذا آخرُ ايامنا. فقلتُ: كلَّا بل يُبقيك الله يا امير المؤمنين ويسرُّك. (قال) ودِجلةُ والله يا بنيّ هادِئة ما فيها صوت مِجداف ولا احدٌ يتحرّك وهي كالطَسْت هادئة فسمِعتُ هاتفاً يهتف « قُضِي الامرُ الذي فيه تستفتيانِ» (قال) فقال لي: اسمعتَ ما سمِعتُ يا عم. فقلت: وما هو (وقد والله سمعته). فقال: الصوتُ الذي جاءَ الساعةَ من دِجلة. فقلتُ: ما سمعتُ شيئاً وما هذا إلَّا توهُّم. فاذا الصوت قد عاد يقول « قُضِي الامر الذي فيه تستفتيانِ فقال: انصرف يا عم بيّتك الله بخير فمحالٌ

أَلَا تكون الآن قد سمِعتَ ما سمعتُ . فانصرفتُ وكان آخرَ العهد بهِ

١٣٤ لستُ اتعرّض له ولا أعرِّضك

حدَّث اسحاق الموصليّ قال : نهاني الرشيد ان اغنِّي احدًا غيرَهُ ثم استوهَبَني جعفرُ بن يحيي وسأَلهُ أن يأذَن لي في أن اغنّيه . ففعل . واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيي وعنده اخوه الفضل والرشيد يومئذٍ بعَقِب علّة قد عوفي منها وليس يشرب فقال لي الفضل : انصرف اليَّ الليلة حتى اهب لك مائة الف دِرهم فقلت له انّ الرشيد قد نهاني ألَا أغنّي إلا له او لاخيك وليس يخفى عليه خبري وانا مُتَّهَم عنده بالَميل اليكم . ولستُ اتعرّض له ولا اعرّضك . ولم أُجِبْهُ . فلمّا نكبَهم الرشيد قال : إيهٍ يا إسحاق تركتني بالرَّقّة وجلست ببغداد تغنّي للفضل ابن يحيي فحلفتُ بحياته أنّي ما جالسته قط ألّا على المذاكرة والحديث وانه ما سمعني قط اغني الا عند اخيه جعفر وحلفت بتُربة المهدِيّ أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نِسائهِ . فسأل عنه فحدّثنَه بمثل ما ذكرتهُ له وعرف خبر المائة الالف الدِرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه . فلمّا دخلتُ عليه ضحِك اليَّ ثم قال : سألتُ عن أمرِك فعرَفتُ منه مثلَ ما عرّفتَني . وقد امرتُ لك بمائة الف درهم عوضاً ممّا بذلَه لك الفضل

١٣٥ استشاطَ غضباً وأحمرّت عيناه وأنتفخت أوداجُهُ

اخبر ابراهيم الموصلي قال بينا انا عشيّةً في منزلي إذ اتاني خادم من خدَم الرشيد فاستحثني بالركوب اليه فخرجتُ شبيهاً بالراكض

فلما صرتُ الى الدار عُدِل بي عن المدخل الى طرُق لا اعرفها فانتُهي بي الى دار حديثة البناء. فدخلتُ صحناً[1] واسعاً وكان الرشيد يشتهي الصحون الواسعة فاذا هو جالِس على كرسي في وسط ذلك الصحن ليس عنده احد الّا خادم يسقيه واذا هو في لِبسته التي كان يلبَسُها في الصيف غِلالة[2] رقيقة متوشِّح عليها بازار رشيدي عريض العلَم مُضرَّج[3] فلما رآني هشَّ لي وسُرَّ وقال : يا موصلي اني اشتهيت ان اجلس في هذا الصحن فلم يتَّفق لي الّا اليوم واحببت ألّا يكون معي ومعك احد ثم صاح بالخدّام فوافاه مائة وصيف واذا هم بالأروِقة مستترون بالأساطين[4] حتى لا يراهم فلما ناداهم جاؤوا جميعاً. فقال : مُقطَّعة لابراهيم وكان هو اول من قطع المصلّيات فأُتيتُ بمقعد فأُلقِي لي تُجاه وجهه بالقرب منه ودعا بعود فقال بحياتي اطربني بما قدرتَ قال ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونَشِطتُ ورجوتُ الجائزة في عشيَّتي فبينا انا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبير فقام مَقامَه الذي كانَ اذا قامَه عَلِم الرشيد أنه يريد أَن يُسارَّه بشيء. فأومأَ اليه بالدنوّ فألقى في أذنه كلمةً خفيفة ثم تنحّى فاستشاط غضباً واحمرّت عيناه وانتفخت اوداجه[5] ثم قال : حتَّامَ اصبرُ على آل بني ابي طالب. والله لأَقتلنَّهم ولاقتلَنّ شِيعتهم ولأَفعلنَّ ولافعلنّ. فقلتُ: إنَّا لله ليس عند

---

١) صحن الدار ساحتها
٢) الغلالة الثوب الذي يلي الجسد
٣) علَمُ الثوب رقمهُ في اطرافه ومضرَّج مصبوغ بحُمرة
٤) الاساطين الاعمدة ٥) الاوداج ما احاط بالعنق من العروق

هذا احدٌ يخرِج غضبه عليه. أَحسِبه واللهِ سيُوقِع بي فاندفعت اغنّي :

نِعْم عَوناً على الهُموم ثلاث   مُترعاتٌ مِن بعدهِنّ ثلاثُ
بعدَها اربعٌ تتمّةُ عَشرٍ   لا بِطاءٌ الكنهنّ حِثاثُ[1]

قال: ويلك اسقِني ثلاثاً لا اُمتْ همّاً فشرب ثلاثاً متتابعة ثم قال: غنِّ فغنّيت فلما قلت: ثلاث مترعات من بعدهنّ ثلاث. قال هاتِ ويلك ثلاثاً ثم قال لي: غنِّ فلمّا غنّيته قال حُثَّ عليّ بأربعٍ تتمّةِ العَشر ففعل فوالله ما استوفى آخرهنّ حتى سَكِر فنهض ليدخل ثم قال: قُم يا موصلي فانصرف. يا مسرور أقسمتُ عليك بحياتي وبحقّي إلّا سبقته الى منزلهِ بمائة ألف درهم لا أُستأمَر فيها ولا في شيء منها فخرجتُ والله وقد امِنتُ خوفي وادركتُ ما امّلتُ ووافيتُ مَنزلي وقد سبقتني المائة الأَلف الدرهم إليهِ

١٣٦ أَقفرَ من أَوتارِهِ العُودُ

حدَّث حمّاد بن اسحاق عن ابيه قال: كان برصوما الزامِر وزَلزَلٌ الضارب من سواد اهل الكوفة من اهل الخُشنة والبَذاذة والدناءة فقَدِم بهما أَبي معه سنة حجٍّ ووقفَهما على الغِناء العربي واراهما وجوه النَّغم وثقّفهما حتى بلغا المبلغ الذي بلغاه من خِدمة الخليفة. وكانا اطبع اهل دهرهما في صناعتهما. فحدّثني ابي قال: كان لزلزل جارية قد ربّاها وعلّمها الضرب وسأني مطارحتها. وكانت مطبوعة حاذقة. (قال) فكان يصُونها أن يسمعها احد فلما مات بلغني انها تُعرَض في ميراثهِ للبيع

١) حثاث اي يتبعنَ بسرعة

فصرت اليها لاعترضها فغنَّت :

أُقفرَ من اوتارهِ العودُ فالعودُ للاوتارِ مَعمودُ
واوحش الِزمار من صوته فما له بعدك تَغريدُ
مَن للمزامير وعيدانها وعامِرُ اللذاتِ مفقودُ
الخمرُ تبكي في اباريقها والقينةُ الَخمصانةُ الرُّوْدُ[1]

قال: وهذا الشعرُ رثاهُ بهِ صديقٌ له كان بالرَّقة قال : فأبكَتْ واللهِ عيني واوجعت قلبي. فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها. فأمر باحضارها فحضرت . فقال لها: غنّي الصوت الذي حدّثني ابراهيم عنك انك غنيتهِ. فغنّته وهي تبكي. فرقَّ الرشيد لها وتغرغرت عيناهُ وقال لها : اُتحبّينَ ان أشتريكِ. فقالت: يا اميرَ المؤمنين لقد عرضتَ عليَّ ما يقصُر عنه الأملُ. ولكن ليس من الوفاء ان يملكني احد بعد سيّدي فينتفعَ بي. فازدادَ رِقَّة عليها. فأمر بأن تُباع وتُعتَق. ولم يزل يُجري عليها الى أن ماتت

١٣٧ اسحق الموصلي

هو اسحق بن ابراهيم الموصلي ويُكنى ابا محمّد وموضعه من العلم ومكانه من الأدب ومحلّه من الرواية وتقدّمه في الشِعر ومنزلته في سائر المحاسن اشهر مِن أن يُدلّ عليه فيها بوصف. واماً الغناء فكان اصغر علومهِ وأدنى ما يوسَم به وان كان الغالب عليه وعلى ما كان يُحسِنه فانّه كان له في سائر ادواته نُظرا، وأَكفاء. ولم يكن له في

---

١) الرُّوْد الشابّة الحسنة

هذا نظير فانه لحق بمن مَضَى فيه وسبق من بقي ولحبَ[۱] للناس جميعاً طريقه فأوضحها وسهَّل عليهم سبيله وأنارَها فهو إمام اهل صناعته جميعاً ورأسهم ومعلّمهم يعرف ذلك منه الخاص والعام ويشهد به الموافق والمفارق. على انه كان اكره الناس للغناء واشدّهم بغضاً لأن يُدعى اليه او يُسمَّى به. وكان يقول لوددتُ أن أضرَب كلّما اراد مُرِيد منّي ان اغنّي وكلّما قال قائل اسحق الموصلي المغنّي عشر مَقارِع لا اطيق اكثر من ذلك وأُعفَى من الغناء ولا ينسبني من يذكرني اليه. وكان المأمون يقول : لولا ما سبق على ألسنة الناس وشُهر به عندهم من الغناء لولَّيته القضاء بحضرتي فانّه اولى به واعف واصدق واكثر ديناً وامانة من هؤلاء القضاة وقد روى الحديث ولقي اهله مثل مالك بن انس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وابراهيم بن سعد وابي معاوية الضرير وروح بن عبادة وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز وكان مع كراهته الغناء أضنّ خلق الله واشدَّهم بخلًا به على كلّ احد حتى على جواريه[۲] وغلمانه ومن يأخذ عنه منتسباً اليه متعصّباً له فضلًا عن غيرهم وهو الذي صحّح أجناس الغناء وطرائقهُ وميّزه تمييزًا لم يقدر عليه أحد قبلهُ ولا تعلّق به احد بعده

۱۳۸ عرَّفتنا ايامُ النكبةِ من كُنَّا نجهلهُ مِن الناس

حدَّث ابراهيم بن العباس قال قال لي الفضل بن الربيع ذاتَ يوم. عرّفتنا ايام النكبة مَن كنّا نجهله من الناس. وذلك أنّا احتجنا

---

۱) لحبَ طريقه أوضحَهُ

۲) راجع الرنات ۱ :۲٤٥ « اسحاق وجاريته دمن »

ان نودِعَ أموالَنا وكان امرُها كثيرًا مُفرِطًا فكنّا نُلقيها على الناس إلقاءً ونُودِعها الثقةَ وغيرَ الثقةِ . فكان مِمَّن اودعتُه سعيد بن وَهْب وكان رجلًا صعلوكًا لا مال له إنّما صَحِبنا على البطالة فظننتُ انّ ما اودعتُه ذاهبٌ ثم طلبتُهُ منه بعد حين فجاءَني واللهِ به بخواتيمه وأودعتُ عليَّ بن الهيثم كاتبَنا جملة عظيمة[1] وكان عندي اوثقَ مَن اودعته . فلمّا أمِنتُ[2] طالبته بالوديعة فجحدَنيها وبهتني وحلف على ذلك . فصارَ سعيد عندي في السماء . وبلغتُ به كلَّ مبلغ . وسقط عليُّ بن الهيثم فما يصلُ اليَّ ولا يلقاني

١٣٩ ضحك اهل الحلقة منه

قدم البصرة راجز من اهل المدينة فجلس الى حلقة فيها الشُّعراء فقال : انا أرجزُ العرب انا الذي اقول :

مروانُ يُعطي وسعيدٌ يمنعُ   مروانُ نبعٌ وسعيدٌ خَروَعُ

وددتُ أنّي راميتُ مَن أحب في الرجز يدًا بيدٍ واللهِ لأنَا ارجز من العجّاج . فليتَ البصرة جمعتْ بيني وبينهُ (قال) والعجّاج حاضر وابنهُ رُؤبة[3] معه . فأقبلَ رؤبة على ابيه فقال : قد انصفك الرجل . فأقبلَ

---

١) اي مبلغ عظيم من المال ٢) امنت اي زال الخوف

٣) رُؤبة بن العجاج من رُجّاز الاسلام وفُصحائهم والمذكورين المُقدَّمين منهم نزل البصرة وهو من مُخضرَمي الدولتين مدحَ بني أُميّة وبني العباس ومات في ايام المنصور وقد اخذ عنهُ وُجُوه اهل اللغة وكانوا يقتدون بهِ ويحتجُّون بشعرهِ ويجعلونَهُ إمامًا . ويُكنَى ابا الجحّاف وابا العجّاج قال يعقوب بن داود لقيتُ الخليل بن احمد يومًا بالبصرة فقال لي

عليه العجّاج وقال: هاناذا العجّاج فهلُمّ وزحفَ اليه . فقال واي العجّاجين انتَ قال: ما خِلتك تعني غيري انا عبدالله الطويل وكان يُكنَى بذلك. فقال له المدنيّ: ما عنيتك ولا أَردتكَ قال: وكيف وقد هتفتَ بي. قال: وما في الدنيا عجّاج سِواكِ. قال: ما علِمتُ. قال: لكنّي أَعلمُ واياهُ عنيتُ. قال: فهذا ابني رُؤبة فقال: اللهمّ غفرًا ما بيني وبينكما عمَلٌ وانّما مرادي غيركما. فضحك اهل الحلقة منه وكفّا عنه.

١٤٠ إنّ بني الدّيل يطلبونني بتِرات فإيّاكِ ان تذكريني لأَحد

ابو خراش الهُذَليّ اسمهُ خُوَيلِد بن مُرَّة شاعِر فحل من شعراء هذَيل المذكورين الفُصحاء مخضرم ادركَ الجاهلية والاسلام فأسلم ومات في خِلافة عُمَر بن الخطّاب نهشتهُ أفعى فمات وكان مِمَّن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومهِ وحروبهم.

خرج ابو خراش الهذلي من ارض هذيل يريد مكّة . فقالَ لزوجتهِ امّ خراش: ويحكِ إنّي أُريد مكة لبعض الحاجة وإنكِ من أفكّ النساءِ[1] و إنّ بني الديل يطلبونني بتِراتٍ فاياكِ وأن تذكريني لأَحد حتى نصدُر مِنها قالت: مَعاذ الله ان اذكركَ لاهل مكة وأنا اعرف السبب (قال) فخرج بأُمّ خراش وكمنَ لِحاجته. وخرجت الى السوق لتشتري عطرًا او بعض ما تشتريه النساء من حوائجهنّ. فجلست الى عطّار فمرّ

يا ابا عبد الله دفنّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم فقلتُ وكيف ذاك قال: هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤبة

١) من افكّ اي انها تفوق سائر النساء بالحمق

بها فتيَانِ من بني الديل فقال احدُهما لصاحبهِ : امُّ خراش وربِّ الكعبة وإنّها لِمَنْ افلكِ النساء . وإن كان ابو خراش معها فستدلّنا عليه . (قال) فوقفا عليها فسلّما واحفيا[1] المسألة والسلام . فقالت : من انتما بأبي انتما . فقالا : رجلانِ من اهلكِ من هذيل . قالت : بأبي انتما فان ابا خراش معي ولا تذكراه لأحد ونحنُ رائحين العشيّة فخرج الرجلانِ فجمعا جماعة من فتيانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مَخلَدٌ وكان من اجود الرجال عَدوًا فكمنوا في عقَبة[2] على طريقه . فلمأ رآهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها : قتلتِني وربِّ الكعبة لِنْ ذكرتني . فقالت : واللهِ ما ذكرتكَ لأحد الّا لفتيَيْن من هذيل . فقال لها : والله ما هما من هذيل ولكنّهما من بني الديل وقد جلسا لي وجمعا عليَّ جماعة من قومهم . فاذهبي أنتِ فاذا جُزتِ عليهم فانّهم لن يَعرِضوا الكِ لِئلّا أَستوحش فأفوتَهم . فأركضي بعيركِ وضعي عليه العصا[3] . والنَّجاءَ النجاءَ (قال) وهي على قَعُودٍ عُقَيلِيّ يُسابِقُ الريح . فلما دنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تمرًا على طريقهِ على كساء فوقف قليلًا كأنّه يُصلِح شيئاً . وجازت بهم امُّ خراش فلم يعرضوا لها لِئلّا ينفر منهم . ووضعت العصا على قَعُودِها . وتواثبوا اليه . ووثب يعدُو (قال) فزاحمَهُ على المَحجّة[4] التي يسلُكُ فيها على العقبة ظبيٌ فسبقَهُ ابو خراش . وتصايحَ القومُ : يا مَخلَدُ أَخذًا أَخذًا . (قال) ففاتَ الاخذ . فقالوا : ضَرْباً ضرباً . فسبقَ الضربَ

---

[1] احفيا اي بالغا في المسألة والسلام
[2] العقبة الطريق في اعلى الجبل
[3] اي استحثّيه بالعصا لِيُسرِع
[4] المحجّة وسط الطريق

فصاحوا رَمْياً رمياً . فسبقَ الرَّمْيَ وسبقت امُّ خراش الى الحي فنادت : أَلا إنَّ ابا خراش قد قُتِلَ فقام الحيُّ اليها وقام ابوه وقال : ويحكِ ما كانت قصّته . فقالت ان بني الديل عرضوا لهُ الساعة في العقبة . قال : فما رأيتِ او ما سَمعتِ قالت : سمعتهم يقولون : يا مخلد اخذًا اخذًا قال : ثمَّ سمعتِ ماذا قالت : ثم سمعتهم يقولون ضرباً ضرباً . قال : ثمَّ سَمعتِ ماذا . قالت : سمعتهم يقولون رَمياً رَمياً . قال : فان كنتِ سمعتِ رمياً رمياً فقد أَفلتَ وهو منَّا قريب ثم صاحَ : يا ابا خراش فقال ابو خراش : يا لَبَيْك . واذا هو قد وافاهمُ على اثرها

١٤١ اختر مجالستي إن شئت ليلًا و إن شئتَ نهارًا

كان حارثةُ بن بَدْرٍ من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها ليس بمعدودٍ في فحول الشعراء . ولكنَّه كان يُعارض نُظراءَه الشعر . وله من ذلك اشياء كثيرة ليست ممَّا يُلحِقُه بالمتقدمين بالشعر والمتصرّفين في فنونه . وكان فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وايامهم حلوًا ذا فكاهة . فكان زياد[1] يأنس به طول حياتهِ وكان مُكرِماً له مُحتملًا لما يعلمهُ من تناولهِ الشراب . فلمَّا مات وولي عُبيدُ الله ابنه كان يجفُوهُ . فدخل اليه في جمهور الناس فجلس متوارياً منه حتى خف الناسُ ثم قام فأَذكرَهُ بحقوقهِ على زِياد وأُنسهِ به . فقال له : ما أَعرَفني بما قلتَ غيرَ أَنَّ ابي كان قد عرفَهُ الناس وعرفوا سيرَتَه فلم يكن يلصَق به من اهل الريبة مثل ما يلحقني مع الشباب وقُربِ العهدِ بالامارة فامّا اذ

---

١) هو زياد بن ابيه ابن ابي سُفيان

قلتَ ما قلتَ فاختر مُجالستي إن شئتَ ليلًا و إن شئتَ نهارًا فقال: الليل احبُّ اليّ . فكان يدعوه ليلًا فيسامِرهُ فلمّا عرفهُ استحلاهُ فغلبَ عليه ليلَهُ ونهارَهُ حتى كان يغيب فيبعث مَن يُحضِرهُ فجاءَهُ ليلةً وبوجهِهِ آثار فقال له: ما هذا يا حارِ[١] قال: ركبتُ فرسي الاشقر[٢] فلجج بي مَضِيقاً فسحّجني[٣] قال: لكنّكَ لو ركبتَ احدَ الاشهبين لم يُصبك شيء من هذا يعني اللبن والماء.

١٤٢ مات وترك أُصَيْبِيَةً صِغارًا في حُجرِ أخيهِ

كان القاسم بن محمَّد بن ابي بكر يحدّث قال: لما قتل معاوية بن حُدَيج الكندي وعمرو بن العاص ابي يعني محمد بن ابي بكر بمصر جاءَ عمّي عبد الرحمن بن ابي بكر فاحتملني وأختاً لي من مِصر وقدم بنا المدينة. فبعثت إلينا عايشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها. فما رأيتُ والِدة قطّ ولا والدًا أبرّ منها. فلم نزل في حُجرها على فخذها. ثمّ بعثت الى عمّي عبد الرحمن. فلمّا دخل عليها تكلّمت فحمدت الله عزّ وجلّ وأثنت عليه. فما رأيت متكلّماً ولا متكلّمة قبلها ولا بعدها ابلغ منها. ثم قالت يا اخي انّي لم ازل اراك مُعرِضاً عنّي منذُ قبضتُ هذين الصبيّين منكَ. ووالله ما قبضتُهما تطاولًا عليك ولا تهمة لكَ فيهما ولا لشيء تكرههُ ولكنّكَ كنتَ رجلًا ذا نِساء وكانا صبيّين لا يكفيانِ من انفسهما شيئاً فخشيتُ ان يَرَى نساؤكَ منهما ما يتقذّرنَ به من قبيح امر الصبيان فكنتُ ألطف لذلك وأحقّ لِولايته فقد

---

١) حارِ ترخيم حارثة ٢) يريد بفرسه الاشقر الخمر
٣) سحّج اي خدش

قَويا على أَنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيانِ فها هما هذانِ فضمَّهما إليكَ وكُنْ لهما كجُحَيَّة بن المُضرِب اخي كِندة فانّه كان له أخٌ يقال له مَعدان فمات وترك أُصَيبِيَةً صِغارًا في حُجر أخيه فكان أبرَّ الناس بهم واعطفهم عليهم وكان يؤثرهم على صبيانه. فمكث بذلك ما شاءَ الله. ثم انّه عرضَ له سَفَرٌ لم يجد بُدًّا من الخروج فيه فخرج واوصى بهم امرأته وكانت احدى بنات عمِّهِ وكان يقال لها زَيْنَب فقال اصنعي ببني اخي ما كنتُ اصنع بهم ثم مضى لوجهِهِ فغاب اشهُرًا. ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت فقال لامرأته: ويلكِ ما لي أرى بني مَعدَان مَهازيلَ وأرى بنيَّ سِماناً. قالت: قد كنتُ أُواسي[1] بينهم ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون فخلا بالصبيان فقال: كيف كانت زينب لكم قالوا سيّئة ما كانت تُعطينا من القُوت الّا ملءَ هذا القدَح من لبَنٍ. وأَرَوْهُ قدَحاً صغيرًا. فغضبَ على امرأتهِ غضباً شديدًا وتركها حتى اذا اراح عليه راعياه إبلَهُ[2] قال لهما: اذهبا فأنتما وإبلكما لبني معدان. فغضبت من ذلك زينب وهجرتهُ وضربت بينَهُ وبينها حجاباً. فقال: واللهِ لا تذوقين منها صَبُوحاً ولا غبوقاً[3] ابدًا

١٤٣ كادَ جعفر أَن يَنشقَّ غيظاً

حدَّث إسحاق قالَ: لم أَرَ قطّ مثلَ جعفر بن يحيي. كانت له فُتُوَّةٌ وظَرفٌ وأدب وحُسنُ غِناء وضربٌ بالطبل. وكان يأخذ بأجزلِ حظ

١) المواساة المشاركة في المعاش
٢) اراح الابل ردَّها بالعشي الى مُراحها الذي تأوي اليه ليلًا
٣) الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشيّ

من كلّ فنّ من الأدب والفتوة. فحضرتُ بابَ أميرِ المؤمنين الرشيد. فقيل لي انه نائم. فانصرفتُ. فلقيني جعفر بن يحيي فقال لي: ما الخبر. فقلتُ: اميرِ المؤمنين نائم فقال: قِفْ مكانَك ومضى الى دار اميرِ المؤمنين فخرجَ اليه الحاجب فأعلمَهُ انّه نائم فخرج اليَّ وقال لي: قد نام اميرِ المؤمنين فسِر بنا الى المَنزِل حتى نَخلوَ جميعاً بقيّةَ يومنا وتُغنّيني وأُغنّيك ونأخذ من شأننا في وقتنا هذا قلتُ: نعم. فصِرنا الى منزلهِ فطرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فطعِمنا وأمر بإخراج الجواري وقال: لِتبرُزنَ فليس عندنا من تحتشِمنَ منه فلمّا وُضعَ الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق[1] فتخلّقَ به ثم دعا لي بمثل ذلك وجعلَ يُغنّيني وأُغنّيه. ثم دعا بالحاجب فتقدَّمَ اليه وأمره بألّا يأذن لأحد من الناس كلّهم وإن جاء رسول اميرِ المؤمنين أعلَمَهُ انه مشغول. واحتاط في ذلك وتقدَّم فيه الى جميع الحُجاب والخَدَم. ثم قال: إن جاءَ عبد المَلِك فأذَنوا له يعني رجلًا كان يأنسُ به ويمازحُهُ ويحضُر خَلَواته ثم أخذنا في شأننا فوالله إنّا لَعلَى حالة سارّة عجيبة إذ رُفِع السِتر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشميّ قد اقبلَ. وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيي وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي من جَلالةِ القَدْر والتقشُّف وفي الأمتناع من منادمة اميرِ المؤمنين على امرٍ جليل وكان اميرِ المؤمنين قد اجتهدَ به ان يشرب معه او عنده قدَحاً فلم يَفعل ذلك رَفعاً لنفسهِ فلمّا رأيناه مُقبلًا اقبلَ كلّ واحدٍ

١) الخلوق ضرب من الطيب يُتخذ من الزعفران وغيره من انواع الطيب . تخلّق اطلى بالخلوق

منّا ينظر الى صاحبه وكاد جعفر أن ينشقّ غيظاً وفهم الرجلُ حالَنا فاقبلَ نحوَنا حتى اذا صار الى الرِّواق الذي نحن فيه نزعَ قلنسيتَهُ فرمى بها مع طَيلَسانه جانباً ثم قال: أطعِمونا شيئاً. فدعا له جعفر بالطعام وهو مُنتفخٌ غضباً وغيظاً فطعِم ثم دعا برِطل فشرِبَهُ ثم اقبلَ الى المجلس الذي نحنُ فيه فأخذَ بعِضادَتي الباب ثم قال: أشرِكونا فيما انتم فيه فقال له جعفر أدخُل ثم دعا بقميص حريرٍ وخَلوق فلبِس وتخلّق ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة ارطال ثم اندفعَ ايغنّينا فكان أحسننا جميعاً غِناء فلمّا طابت نفس جعفر وسُرّي عنه ما كان به التفتَ اليه فقال له: إرفعْ حوائجك. فقال: ليس هذا موضعَ حوائج. فقال: لَتفعلَنَّ. ولم يزل يُلِحُّ عليه حتى قال له: لأمير المؤمنين عليَّ واجدٌ فأُحِب ان تترضّاه. فقال: ان امير المؤمنين قد رَضِي عنك. فهاتِ حوائجك. فقال: هذه كانت حاجتي. قال: ارفع حوائجك كما اقول لك. قال: عليَّ دَيْنٌ فادِح. قال: هذه اربعة آلاف الف درهم. فان احببتَ أن تقبضها فاقبضها من منزِلي الساعةَ فانه لم يمنعني من إعطائك ايّاها الّا أنّ قدرك يجِلّ على أن يصِلك مثلي ولكنّي ضامنٌ لها حتى تُحمَل من مال امير المؤمنين غداً فسَلْ ايضاً قال: ابني تُكلِّم امير المؤمنين حتى ينوّه باسمه قال قد ولّاه امير المؤمنين مِصر وزوَّجه ابنته العاليةَ ومهرَها ألفَي ألفِ دِرهم. قال اسحاق: فقلتُ في نفسي: قد سَكِرَ الرجلُ اعني جعفراً. فلمّا اصبحتُ لم تكن لي هِمّةٌ إلّا حضورَ دار الرشيد واذا جعفر بن يحيي قد بكّرَ ووجدتُ في الدار جلَبة واذا ابو يوسف القاضي ونُظراؤه قد دُعي بهم. ثم دُعي بعبد الملِك بن صالح وابنهِ فأُدخِلا

على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك : ان امير المؤمنين كان واجدًا عليك وقد رضي عنك وأمرَ لك بأربعة آلاف ألفِ درهم فاقبضها من جعفر بن يحيي الساعة ثم دعا بابنهِ فقال اشهدوا أني قد جوّزتهُ العاليةَ بنت امير المؤمنين وأمهرتُها عنه ألفي ألفِ درهم من مالي وولّيته مصر . (قال) فلمّا خرج جعفر بن يحيي سألته عن الخبر فقال : بكّرتُ على امير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منّا وما كُنّا فيه حرفاً حرفاً ووصفتُ له دخول عبد الملك وما صنع . فعَجِبَ لذلك وسُر به . ثم قلتُ له : قد ضمِنت لهُ عنك يا امير المؤمنين ضَماناً . فقال : ما هو فاعلمتُه قال : أَوفِ له بضمانك وأمر باحضاره . فكان ما رأيتَ

١٤٤ نجّدَ اللهُ لكَ في الجنّة ألفَ قصر

حدَّث ابو اسحاق قال : مُطِرنا ونحن مع الرشيد بالرقّة مطرًا مع الفجر واتّصل الى غد ذلك اليوم وعرفنا خبر الرشيد وأنّه مُقيم عند امّ ولدهِ المسمّاة بسحر[1] . فتشاغلنا في منازلنا فلمّا كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعاً . وأقبلَ يسألُ واحدًا واحدًا عن يومه الماضي ما صنع فيه فيُخبِره . الى أن انتهى الى جعفر بن يحيي فسأله عن خبره . فقال : كان عندي ابو زكّار الاعمى وابو صَدَقة[2] . فكان ابو زكار كلّما

---

١) ويروى « شجر »

٢) ابو صَدَقة اسمه مَسكين بن صدقة من اهل المدينة مَولى لقريش وكان مَليح الغناء طَيّب الصوت كثير الرِواية صالح الصنعة من اكثر الناس نادرةً واخفهم رُوحاً واشدّهم طَمعاً والحّهم في مَسألة . وهو من المغنّينَ الذين أقدمَهم هارون الرشيد من الحِجاز في ايامه

غنّى صَوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه ابو صدقة فاذا انتهى الدَوْر اليه أعادَهُ وحكى أبا زكار فيه وفي شمائلهِ وحركاته ويفطنُ ابو زكار لذلك فيجنّ ويموت غيظاً ويشتم ابا صدقة كلّ شتم حتى يضجر وهو لا يُجيبهُ ولا يدعُ العَبَث به وانا اضحكُ من ذلك الى أن توسَّطنا الشراب وسَئِمنا من العبث به . فقلتُ له : دع هذا وغنِّ غناءَك فغنَّى رَمَلًا ذكرَ انه من صِنعته طرِبتُ له والله يا اميرِ المؤمنين طربَاً ما أذكرُ أني طربت مثلَه مُنذ حين

فقلتُ له أحسنتَ والله يا ابا صدقة فلم أسكتْ عن هذه الكلمة حتى قال لي إني قد بَنيتُ داراً حتى أنفقتُ عليها حريبتي[١] وما أعددتُ لها فَرشاً فأفرُشها لي نجّدَ الله لك في الجنّة ألفَ قصر فتغافلتُ عنه . وعاود . فتعمَّدتُ أن قلتُ له : أحسنتَ . لِيُعاوِدَ مسئلتي وأتغافلَ عنه فسألني وتغافلتُ فقال لي : يا سيّدي هذا التغافُل متى حدثَ لكَ . سألتُك بالله وبحقّ ابيك عليك إلّا اجبتني عن كلامي ولو بِشتم . فأقبلتُ عليه وقلتُ له : انت واللهِ بَغيض أسكُت يا بغيض واكفُف عن هذه المسألة المُلِحّة . فوثب من بين يديّ . وظننتُ أنه خرج لحاجة . واذا هو قد نزعَ ثيابَهُ وتجرَّدَ منها خوفاً من ان تَبتلّ ووقف تحت السماء لا يواريه منها شيء . والمطرُ يأخذُه ورفع رأسه وقال : يا ربّ انت تعلم أَنّي مُلهٍ ولستُ نائحاً وعبدُكَ هذا الذي رفعتَهُ واحوجتَني الى خدمته يقول لي أَحسنتَ لا يقول لي اسأتَ وانا مُذ جلَستُ اقول له

---

١) الحريبة مالُ الرجل الذي يقوم به أمرُهُ

بَنَيتُ لم اقل هدمتُ فيحلِف بك جُراةً عليك أني بغيض . فاحكم بيني وبينَهُ يا سيّدي فأنت خير الحاكمين . فغلبني الضحك وامرتُ به فتنحَّى وجهدتُ به ان يغنّي فامتنعَ . حتى حلفتُ له بحياتك يا امير المؤمنين اني افرش له دارَه . وخدعتُه فلم أُسمِ له ما أَفرُشها به . فقال الرشيد : طيِّب والله الآن تمّ لنا به اللهوُ . وهو ذا أدعوا به . فاذا رآكَ فسوفَ يقتضيك الفرش لانك حلفتَ له بحياتي فهو يتنجزكَ ذلك بحضرتي ليكون اوثق له . فقُلْ له : انا أفرشها بالبواري[1] وحاكِمه اليَّ . ثم دعا به فأُحضِر فلما استقرَّ في مَجلِسه حتى قال لجعفر بن يحيي : الفرش الذي حلفتَ لي بحياة امير المؤمنين انك تفرش به داري تقدَّم فيه فقال له جعفر اخترْ إن شِئتَ فرشتُها لكَ بالبواري و إن شئتَ بالبردي[2] من الحُصر فضجَّ واضطربَ فقال له الرشيد : وكيف كانت القصّة . فأخبرَهُ فقال له : اخطأتَ يا ابا صدقة اذ لم تُسمِ النوع ولا حددتَ القيمة . فاذ فرشَها لك بالبواري او بالبرديّ او بما دون ذلك فقد وَفَى بيمينه وانما خدعك ولم تفطن له انت ولا توثّقتَ وضيَّعتَ حقّك فسكتَ وقال : نوفّر البردي والبواريّ عليه ايضاً اعزَّهُ الله .

وغنّى المغنون حتى انتهى اليه الدور فاخذ يُغني غِناء الملّاحين والبنائين والسقائين وما جرى مَجراه من الغناء . فقال له الرشيد : ايش هذا الغناء . ويلك قال : مَن فُرِشت داره بالبواريّ والبرديّ فهذا الغِناء كثيرٌ منه وكثير ايضاً لِمن هذه صِلَتهُ فضحك الرشيد وطرب

---

١) البَواري جمعُ بُوريّ وهو حصير يُعمل من قَصَب
٢) البَرديّ نبت ينبت في مُجتمع الماء يعمل منه حصير غليظ

وصفق . ثم أَمرَ له بألف دينار من مالهِ وقال له : أفرُش دارك من هذه.
فقال : وحياتك لا آخذها يا سيّدي او تحكم لي على جعفر بما وعدني
والا متُّ واللهِ أسَفاً لفَوْتِ ما حصلَ في طمعي ووُعِدتُ به . فحكم
له على جعفر بخمسمائة دينار فقبلها جعفر وأمرَ له بها .

١٤٥ إئذنوا لنا في دَفنِهِ

قال ابو عَمرِو الشَّيباني : كان أبرَهة حين طلعَ نَجدًا أتاه زُهَيرُ بن
جَناب فاكرَمَه ابرهة وفضَّله على مَن اتاه من العرب . ثم أَمَّره على ابنَي
وائل تَغلِب وبَكر . فولِيَهم حتَّى أصابتهم سنة شديدة فاشتدّ عليهم
ما يَطلب منهم زهير في الجَدب ومنعَهم من النُّجعة[1] حتى يُؤدّوا ما
عليهم . فكادت مَواشيهم تهلك . فلما رأى ذلك ابن زَيَّابة احد بني
تَيم الله بن ثعلبة وكان رجُلًا فاتِكاً بيَّت[2] زهيرًا وكان نائمًا في قبَّة
له من أَدَم

فدخل عليه فألفَى زهيرًا نائمًا . وكان رجلًا عظيم البطن فاعتمدَ
التيميُّ بالسيفِ على بطن زهير حتى أخرجهُ من ظهره مارقًا بين الصِفاق
وسلمت أعفاج[3] بطنه وظنَّ التيميُّ أنه قد قتلَه وعلِمَ زهير أنه
قد سَلِمَ فتخوَّفَ ان يتحرّكَ فيُجهِزَ[4] عليه فسكتَ وانصرفَ ابن

١) النجعة الذهاب لطلب الكلإ في مواضعه
٢) البيات هو أن يقصده ليلًا فيفتك به بغتة
٣) الصِفاق جلدة رقيقة تحت الجلد الاعلى . والاعفاج الأمعاء
٤) اجهز عليه أتمَّ قتلَهُ

زيابة الى قومهِ فقال لهم: قد واللهِ قتلتُ زهيرًا وكفيتُكموه. فسرَّهم ذلك . ولمَّا علِمَ زهير أنه لم يُقدِمْ عليه الَّا عن ملإٍ[1] من بكر وتغلب وانما مع زهير نفرٌ من قومهِ بمنزلة الشُرَط فأمرَ زهير قومَه فغيَّبوه بين عمودَين في ثياب[2] ثم أتوا القوم فقالوا لهم انكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم فأذنوا لنا في دفنهِ ففعلوا: فحملوا زهيرًا ملفوفاً في عمودَينِ والثياب عليه حتى اذا بعدوا عن القوم اخرجوه فلفَّفوه في ثيابهِ ثم حفروا حفيرة وعمَّقوها ودفنوا فيها العمودين ثم ساروا ومعهم زهير فلما بلغ زهير ارضَ قومهِ جمع لِبكر وتغلب الجموع وبلغهم ان زهيرًا حيّ فقال ابن زيَّابة:

طعنةً ما طعنتُ في غَبَشِ[3] الليل م زهيرًا وقد تَوافَى الُخصومُ
حينَ تجبِي الَواسِمَ بكرٌ اينَ بَكرٌ واين منها الُحلومُ
خانني السيفُ اذ طعنتُ زهيرًا وهو سيفٌ مُضلَّلٌ مشؤومُ

(قال) وجمَّعَ زهير بَني كَاب ومَن تجمَّع له من شُذَّاذ العرب والقبائل ومَن أطاعَه منِ اهل اليَمَن فغزا بكرًا وتغلب ابنَي وائلٍ وهم على ماء يقال له الُحبَيُّ وقد كانوا نُذِروا به فقاتلَهم قِتالًا شديدًا. ثم انهزمت بكر وأَسلَمت بني تغلب. فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهزمت وأُسِر كُلَيبٌ ومُهلهِلٌ ابنا ربيعة واستيقت الأَموال. وقتلت كلبٌ في تغلب قتلَى كثيرة وأَسروا جماعة من فرسانهم ووجوههم

---

١) مَلأ اي كثرة
٢) اي حملوه على محفّة مركبة من عمودين اي خشبتينِ
٣) الغَبَش ظلمة يخالطها شيء من بياض

١٤٦ وأنا مِن اين لي صِينيَّة رصاص

اخبر حمّاد بن اسحاق عن ابيه قال : كان سبب وصول ابي صَدَقة الى السلطان انّ ابي لما حجّ مرّ بالمدينة فاحتاج الى قطع ثياب . فالتمس خيّاطاً حاذقا فدُلّ على ابي صدقة ووُصفَ له بالحذقِ في الخياطة والحذقِ في الغناء، وخفّةِ الروح فاحضرهُ فقطع له ما أراد وخاطه وسمِع غِناءه فأعجبه . وسأله عن حالهِ فشكا له الفقرَ فخلّفَ لِعياله نفقة سابغة لِسنة ثم اخذه معه وخلّطهُ بالسلطان قال حماد فقال ابو صدقة يوماً لأَبي : * قد اقتصرتَ به على صنعة أبي اسحق ابيك[١] رحمه الله عِندي وأنتَ لأرب ذلك بشيء * . فقال له : هذه الصِينيّة الفضّة التي بين يديّ لكَ اذا انصرفتَ فشكرهُ وسُر بذلك ولم يزل يُغنّيه يومهُ . فلما أخذ النبيذ فيه قام لحاجةٍ فدعا أبي بصينية رصاص فحوّلَ قنينته وقدحه فيها ورفع الصِينيّة الفِضّة . فلما اراد ابو صدقة الانصراف شدّ ابي الصينية في مِنديل ودفعها الى غُلامهِ وقال له : بِت الليلة عندي وأصطبح غدًا وأردُد دابّتك . فقال : إنّي اذًا لأَحمقُ . أَدفعُ الى غلامي صينية فضّة فيأخذُها ويطمعُ فيها او يبيعُها ويركب الدابّة ويهرب . ولكنّي أبيتُ عندك فاذا انصرفتُ غدًا اخذتُها معي فبات واصبح عندنا مصطبحاً فلما كان وقتُ انصرافهِ اخذها ومضى فلم يَلبَث من غدٍ أنْ جاءنا والصينية معه فاذا هو قد وجّه بها لِتُباع . فعرّفوه

---

١) اي ابرهيم الموصلي . ان معنى العبارة التي بين نجمتين غير واضح عندي . ما لم نقرأ « صنيعة » و « لأَربُ » فيكون المنى : « اكتفيت بما صنع ابوك معي وانّك لَتفوقه وتُنعِم بشيء » فأعطاه صينية فضّة

أنها رَصاص. فلما رآه ابي من بعيد ضحك وعرف القصّة وتماسكَ فقال له ابو صدقة: نِعمَ الخلافة خلفتَ اباك وما أَحسنَ ما فعلتَ بي. قال: وأيَّ شي. فعلتُ بكَ. قال: أعطيتَني صينية رصاص. فقال له ابي: سخنَتْ عينك. سَحِرَت امرأتك بكَ. وانا من اين لي صينية رصاص. فتشكّكَ ساعةً. ثم قال: أَظن واللهِ أَن ذلك كذلك. فقام. فقال له ابي: الى أين قال: أَضعُ واللهِ عليها السوطَ فأَضربُها به حتي تردّ الصينية. فلما رأى ابي الجِدَّ منه قال له: اجلِس يا ابا صدقة فانما مزحتُ معك. وأَمر له بوزنها دراهم

١٤٧ أَرجُو ان لا اكون كذلك إن شاءَ الله

كان خليل المعلّم يُلقَّب خُلَيلان وكان يؤدّب الصِبيان ويعلِّم الجواري الغِناء في مَوضِع واحد. فحدَّث من حضَره قال: كنتُ يوماً عنده وهو يردّد على صبي يقرأ بين يديه «ومِنَ الناسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عن سَبِيلِ اللهِ بغَيْرِ عِلمٍ»[1] ثم يَلتفِتُ الى صَبيَّة يردّد عليها:

إعتاد هذا القلبَ بَلبالُهُ أن قُرِّبَت لِلبَيْنِ أَجمالُهُ[2]

فضحكتُ ضحكاً مُفرطاً لما فعلَهُ فالتفتَ اليَّ فقال: ويلكَ ما لكَ. فقلتُ: ضحكي مما تفعلُ. والله ما سبقكَ الى هذا أحدٌ. ثم قلتُ: انظُرْ ايَّ شي. اخذتَ على الصبي مِن القرآن واي شي. تُلقي على الصبيَّة واللهِ اني لأَظنّكَ ممن يشتري لَهوَ الحديث لِيُضِلّ عن سبيل الله. فقال: ارجو أَلّا اكون كذلك إن شاء الله.

---

١) سورة لقمان ٣١: ٥ ٢) اي أُدنِيت الجِمالُ للرحيل

١٤٨ أحسنتُ ام لا. فقلنا بلى واللهِ

حدّث احمدُ بن الهيثم قال : كنتُ ذات يومٍ جالساً في مَنزِلي بسُرَّ مَن رأى[1] وعندي إخوان لي وكان طريق إسحاق في مضيّه الى دار الخلافة ورجوعه منها عليَّ. فجاءني الغُلام يوماً وعندي اصدقاء. فقال لي: اسحاق بن ابراهيم الموصلي بالباب. فقلتُ له: قل لهُ ويلك يدخل. أوَ في الخلق احدٌ يستأذنُ عليه لاسحاق. فذهبَ الغلام. وبادرتُ أسعى في اثره حتى تلقَّيتهُ. فدخلَ وجلسَ مُنبسِطاً آنِساً. فعرضنا عليه ما عِندنا. فاجابَ الى الشرب. فاحضرناه نبيذًا مُشمَّساً. فشرب منه. ثم قال: أتحبّون أن اغنّيكم. قلنا: اي واللهِ اطال الله بقاءك إنا نُحبّ ذلك. قال: فلِمَ لم تسألوني. قلنا: هِبناك والله. فلما فرغَ قال: احسنتُ ام لا قلنا: بلى واللهِ جعلَنا الله فداءَك لقد احسنتَ قال: فما منعكم أن تقولوا لي احسنتَ. قلنا: الهَيبة والله لك قال: فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون فانّ المغنّي يُحبّ ان يقالَ له غنِّ[2]. ويُحبّ أنْ يُقالَ له اذا غنّى احسنتَ. (قال) ثم غنَّانا صوتَه:

خليلَيّ هُبّا نَصطبحْ بِسَوادِ　وَزُورِ قلوباً هامُهن صَوادِ[3]
وقولوا لساقينا زِيادِ يُرِقّها　فقد هَزّ بعضَ القومِ سَقيُ زِيادِ[4]

---

١) سُرَّ من رَأى مدينة استحدثها المعتصم وسماها بهذا الاسم. ويقال ايضاً «سامرّا» ٢) هذا ضدّ ما وردَ في وصف اسحاق (ص ١٢٧) «كان اكره الناس للغناء واشدّهم بُغضاً لأن يُدعَى اليه» ٣) صوادٍ اي عِطاش ٤) في الاغاني (٢١ : ٢) انّ «الشعر والغناء لاسحاق» وفي الاغاني (٢١ : ٢) «قال ابو الحسَن وقد قيل انّ هذين البيتين يعني «خليلَيّ هبا نصطبح بسوادِ» للاخطل (راجع ديوان الاخطل ١٢٦)

فقُلنا له: يا ابا محمَّد: من هو زياد الذي غنّيته قال: هو غلامي الواقف بالباب. أدعُوه يا غِلمان. فأُدخِل إلينا. فاذا غُلام خِلاسيّ[١] قيمتُه عشرون دينارًا. او نحوها. فأمسكنا عنه. فقال: اتسألوني عنه فأعرّفكم اياه ويخرج كما دخل. وقد سمِعتم شعري فيه وغنائي اشهدكم أنه حُرٌّ لوجهِ اللهِ وأنني زوَّجتهُ أَمَتي فُلانة. فأعينوه على أمرهِ فلم يخرج حتى أَوصلنا اليهِ عشرين الف درهم اخرجناها لهُ من أموالِنا

١٤٩ هذا لَعمرُكَ البَيانُ الصَّريح

قال زياد يوماً لحارِثة بن بَدْر من اخطبُ الناسِ انا او انت فقال: الاميرُ اخطب مِنّي اذا توَعَّد ووعد واعطى ومنع وأَبرقَ وأَرعدَ. وانا اخطبُ منه في الوِفادة وفي الثّناء والتحبير. وانا اكذبُ اذا خطبتُ فأحشو كلامي بزيادة مَليحة شهيّة والأميرُ يَقصِد الى الحقّ وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقُص منه فقال له زياد: قاتَلكَ الله فلقد أَجدتَ تخليص صِفتك وصِفتي من حيث اعطيتَ نفسَكَ الخطابة كلَّها وأَرضيتَني وتخلَّصتَ. ثم التفتَ الى أولادهِ فقال: هذا لَعمرُكم البيانُ الصريح

تمَّ بعونهِ تَعالى

---

١) خِلاسي الولد من ابوين ابيض واسود

فهرس الروايات

ترتيب الروايات		صفحة
١	التقوى خير زاد	٥
٢	هذا غاية الذكاء	٦
٣	لم تبق في المدينة ظريفة الّا ابتاعت خمارًا أسوَد	٧
٤	مرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشِّعر ويتناشدونه	٨
٥	فاذا فيه ملّاح يُعبّر الناس	٩
٦	من اين مَعاشكم	٩
٧	تعوّدتُ مرّ الصبر حتى ألِفتهُ	١٠
٨	اعجب الأشياء اليهم ما فهموه	١٢
٩	لا بارك الله في المَعقوق	١٣
١٠	اجلس حتى أُريكَ عجباً	١٣
١١	نهقَ حمارٌ في الطريق	١٤
١٢	لَيكوننَّ لهذا الغلام شأنٌ	١٥
١٣	أثقبُ اللؤلؤَ	١٦
١٤	لِمَ لا تتصدّقُ عليه بشيء	١٧
١٥	كلٌّ يعمل على شاكلته	١٧
١٦	هذا هو مَنزِلهُ يا أعمَى	١٨
١٧	إنّنا نقولُ ولا نفعلُ	١٩
١٨	قد عوّدتَهُ الاقتصادَ حيّاً وميتاً	١٩
١٩	الآنَ ينبغي ان اهرب	٢٠
٢٠	عطسَ عطسة سقطَ ضرسُه	٢١
٢١	إنَّ اللصوصَ لا يخرجون بالليل محمولين في مَحفّة	٢١
٢٢	بِرُّك وعقوبتك جميعاً نَقْد	٢٢
٢٣	بيضُ البُزاة أغلى من سُودِ الغربان	٢٢

ترتيب الروايات — صفحة

٢٤ نبحتُ نُباحَ الجَروِ الصغير ٢٣
٢٥ مُتبطّح في دهليزه كانّه جاموس ٢٤
٢٦ لم يبقَ احد حضرَ القبرَ الّا استفرغَ ضحكاً ٢٥
٢٧ اوني حائل وشَعري مُفلفَل ٢٦
٢٨ قد هوّنتِ عليّ أمرَكِ ٢٧
٢٩ ويلكَ لا تدعُ مجونَك وسَفَهكَ ٢٧
٣٠ كلُّ حاجة لكم مقتضية الا سَلماً ٢٨
٣١ أولَدتْكَ أُمُّكَ اعمى ام عميتَ بعد ما ولدتكَ ٢٩
٣٢ ما في الدنيا اهلُ صناعةٍ شرٌّ منا ٣٠
٣٣ إنّه أجوف لا عقل له ٣٢
٣٤ رأتاهُ يوماً يعصِرُ عينيهِ ويبكي ٣٢
٣٥ حيّوْا ورحّبُوا وسهّلوا ووسّعوا ٣٤
٣٦ اضاعوني وايّ فتىً اضاعوا ٣٥
٣٧ ثكلَتهُ امّه إن لم أرجع ٣٦
٣٨ هل مِن قِرًى فاني مُقوٍ من الزاد ٣٧
٣٩ قلبي لك شاكر ولساني بالثناء عليك ناثر ٣٧
٤٠ مَن كان ضيفكَ البارحة ٣٨
٤١ هذا العَيث لا الغَيث ٣٩
٤٢ عَصا حَكَمٍ في الدارِ اوّلُ داخلٍ ٤٠
٤٣ ألا تبيع هذه المنارة وتشتري اقلَّ ثمناً منها ٤١
٤٤ هو رابعُ اربعةٍ ولدُهم كانت هذه ميتتهم جميعاً ٤٢
٤٥ صَيْهة اشدّ من هذا ٤٣
٤٦ اقضِ ثمن الغنم التي ابتعتَها مني ٤٤
٤٧ عَلامَ يُعطونهُ هذه العطايا المُسرِفة ٤٥
٤٨ ربّما ترنّمتُ به وأنا جائع فاشبَع وكسلان فأنشط ٤٥
٤٩ قد أفنَى الكِلاب ٤٦

ترتيب الروايات		صفحة
٥٠	ما نَصنع المديح إلّا على قَدرِ الرِّجال	٤٧
٥١	وثَبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كُمِّهِ	٤٨
٥٢	أنتَ دَهرَكَ كُلَّه شَرِيد طَرِيد	٤٩
٥٣	لولا الهَفوة لم أحتج الى العُذرِ	٤٩
٥٤	ما اتى عليه الحَوْل حتى برعَ	٥٠
٥٥	هذه تُربتُك عن قليل	٥٣
٥٦	الجَوادُ عينُه فُرارهُ	٥٤
٥٧	مَرْعَى ولا كالسعدان	٥٥
٥٨	سخنَت عَينُك في اي شيءٍ انتَ مما يُستَحسَن	٥٦
٥٩	ميلانة لا تأخذ الصَوتَ وتضرِبُني أنا	٥٦
٦٠	أيُّ غناءٍ يكون عند الرجُل الخاسِر الأعزَل	٥٧
٦١	يا ابتِ إلى بيتِنا واللهِ يذهبون بهذه الجِنازة	٥٨
٦٢	الحمدُ لله الذي مَسَخكَ كلباً وكفاني حرباً	٥٩
٦٣	إنزَعوا خُفيَّهِ فنَزعا فحَشاها دنانير	٥٩
٦٤	جمع ثمانين سَهماً فربطها بوَتَر	٦١
٦٥	توجَّهْ الى عدوّكَ فجَدُّكَ مُقبِل وجَدُّه مُدبِر	٦٢
٦٦	جرى ذكرُ البرامكة فوصفهم الناس بالجُود	٦٣
٦٧	إني لأَعرفُ دارَه وما هي إلّا خَصائص قَصَب	٦٣
٦٨	كنتُ جالِساً على بابي وانا مُحتاج الى درهم	٦٤
٦٩	إذهب فجئني الساعةَ برأسِ جعفر بن يَحيى	٦٥
٧٠	ضرَبَهُ ضرباً مُبرِحاً وعقرَ عدَّةً من إبلِه	٦٧
٧١	إنتبهَ الأعرابي مُروَّعاً في الليل وهو يهذي	٦٧
٧٢	ماتَ أبانا وخلَّفَ بَنونَ	٦٨
٧٣	لَما أفدتُك إيَّاه في عَقلك خيرٌ لكَ من مال أبي الاسود	٦٨
٧٤	لو لَزِمتَ مَنزِلكَ كان أودع لك	٦٩
٧٥	مرَّ بهِ ذاتَ يَومٍ فتىً فدعاهُ إلى الغَداء	٦٩

ترتيب الروايات		صفحة
٧٦	حملَ عبدة بن الطيب دماً في قومهِ	٧٠
٧٧	إصبَحني قدَحاً ثم قال زدْني	٧١
٧٨	إفتح يا غُلام لأبي سَلَمة	٧٢
٧٩	اشار عليهِ الطبيبُ يأكل جُماّرًا	٧٢
٨٠	أتبيعني القصيدةَ حتى انتحِلَها	٧٣
٨١	تبِعَني اسود متقلّدًا سَيفاً وقال : انتَ طلبة أمير المؤمنين	٧٤
٨٢	تَنَحَّ فاني احقُّ بالحِجام مِنكَ في هذا الوقت	٧٥
٨٣	نادَوْا بالوَيْل والحرَب والسَّلب	٧٧
٨٤	كان يتفقّدُه بالصِّلات الفَيْنَةَ بعد الفينةِ	٧٨
٨٥	ويحَكَ مَن كريمُ قُرَيش هذا	٧٩
٨٦	كان يقالُ له اشجُّ قُرَيْش	٧٩
٨٧	جعلَ يغوص في الفُراتِ ويطفُو	٨٠
٨٨	لا البيتُ لي ولا لكَ. . . سرقناهُ جميعاً	٨١
٨٩	قد عَفَيْتُ عنك وعنه لكَ	٨٢
٩٠	جلَستُ تحتَ ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل	٨٣
٩١	كان لا يسمع من شُعراء مُضَر	٨٤
٩٢	ويحكَ لقد غرَّرتَ بنفسِك	٨٥
٩٣	سِرنا بَياضَ يومِنا وسوادَ لَيلَتنا	٨٧
٩٤	صُفِعتُ واللهِ حتى لم أدرِ أينَ انا	٨٨
٩٥	ما أشعرَهُ وأدقَّ معانيه	٨٩
٩٦	ما أغفلكَ عن أمرنا	٩٠
٩٧	ما شئتُ أنْ أرَى باكياً إلّا رأيتُه	٩٢
٩٨	كان غُلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة	٩٣
٩٩	هِيهِ يا عُمر أتراكَ خدَعتَنا منذ اليوم	٩٤
١٠٠	المكاسُ ليس من أخلاقِ الكِرام	٩٥
١٠١	كأنما غنَّيتُ للحيطان	٩٦

ترتيب الروايات — صفحة

١٠٢ أمرَ لي بعشرِ قلائص — ٩٨
١٠٣ ما وصفني إلّا بالسواد وقد صَدَقَ — ٩٩
١٠٤ إنَّ الناس يزعمون أنك لا تُحسِنُ أن تهجُو — ٩٩
١٠٥ رُفِعَ لهم سَوادٌ عظيم فأمّوه حتى أتَوه — ١٠٠
١٠٦ امتحنتُهم فما وجدتُ فيهم طائلًا — ١٠٣
١٠٧ دمعت عيني فكفكفتها وتصبّرتُ — ١٠٥
١٠٨ طريق ضيّق وَعِر صعب المُرتقَى — ١٠٥
١٠٩ فِراقكَ مِثلُ فِراقِ الحياة — ١٠٦
١١٠ اسحاق أحذقُ بصَيْد الدراهم مني — ١٠٧
١١١ سمعتُ من الناحية اليُسرَى خطأً — ١٠٨
١١٢ أسمعتم بأعجب من هذا البخت قطّ — ١٠٩
١١٣ جاء وسلَّم سَلامَ الصديقِ على صديقه — ١١٠
١١٤ رشّت السماء رشًّا وطشّت — ١١١
١١٥ ألِنْ جانِبَكَ لقومك يُحِبُّوك وتَواضع لهم يرفعوك — ١١٢
١١٦ لم يَشكَّ الناسُ أنّا جئنا من الحجّ — ١١٤
١١٧ اذا عسلٌ مَجدوح بمِسْك وكافور — ١١٤
١١٨ أتهزأ بالقرآن لا أمَّ لك — ١١٥
١١٩ اذا وَجهٌ قد بدا تتبعُه لحيةٌ حمراء — ١١٦
١٢٠ ضحكَ اكثرُ الناس وقطعوا الصلاة — ١١٧
١٢١ رفعَ القومُ أيديهم كأنَّ صاعقةً نزلَت على الحِوان — ١١٧
١٢٢ طلعَ ابنُ عائشة يرسُف في قيدهِ — ١١٩
١٢٣ اذا كان لكَ عقل فَلَكَ أصل — ١٢٠
١٢٤ بالباب رجُل راكب على نجيب مُتلثّم يستأذن — ١٢٠
١٢٥ علِمَت أنّها غلِطَت وأنّها ان مرّت فيه قُتِلَت — ١٢٢
١٢٦ قد نَفِدَ نبيذُنا — ١٢٣
١٢٧ انا رجُل تاجر خرجتُ مع تُجّار — ١٢٤

ترتيب الروايات — صفحة

١٢٨	ما اعتدلَ الحقُّ والباطل قبل الليلة قطّ	١٢٥
١٢٩	أيُّ مروانيَّة كانت لكَ او لأَبيك	١٢٦
١٣٠	أمرَ بي فجرِّدتُ فضُربتُ ثلاثمائة وستّين سَوْطًا	١٢٧
١٣١	لا اترُكُ واحدًا منكما لصاحبِهِ	١٣٠
١٣٢	دخلتُ فاذا جنَّة من الجِنان في احسن تُربة واغزرها ماء	١٣٠
١٣٣	قُضِيَ الامرُ الذي فيه تَستفتيان	١٣١
١٣٤	لستُ اتعرَّضُ له ولا أُعرِّضكَ	١٣٣
١٣٥	استشاطَ غضبًا واحمرَّت عيناه وانتفخت اوداجُه	١٣٣
١٣٦	اقفرَ من أوتاره العُودُ	١٣٥
١٣٧	اسحق المَوصلي	١٣٦
١٣٨	عرَّفتنا ايامُ النكبةِ مَن كنّا نجهلُه من الناس	١٣٧
١٣٩	ضحكَ اهلُ الحلقةِ منهُ	١٣٨
١٤٠	إنّ بني الديل يطلبونني بِترات فايَّاك أن تذكريني لأحد	١٣٩
١٤١	إختَر مُجالستي إن شِئتَ ليلًا وإن شِئتَ نهارًا	١٤١
١٤٢	ماتَ وتركَ أصيبيةً صغارًا في حُجر اخيه	١٤٢
١٤٣	كادَ جعفر أن يَنشقَّ غيظًا	١٤٣
١٤٤	نجَّدَ اللهُ لكَ في الجنّة ألفَ قصر	١٤٦
١٤٥	إئذنوا لنا في دفنِهِ	١٤٩
١٤٦	وانا من أين لي صِينيَّة رصاص	١٥١
١٤٧	أرجو ان لا اكون كذلك ان شاء الله	١٥٢
١٤٨	أحسنتُ ام لا . فقلت بلى واللهِ	١٥٣
١٤٩	هذا لَعمرُك البَيانُ الصريح	١٥٤

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٢٠	الدراهم	الدرهم
٣٥	٨	عملت	علمت
٤٣	١٢	غليه	عليه
١٠٤	٢٠	ويفضم	ويفضل
١٠٤	٢١	منهل	منهم
١٠٥	١	ونُظره	ونظره
١١٦		طويش	طويس
١٢٥	٧	موضع له	موضع يقال له
١٣٦	٢	أُقفر	أَقفرَ
١٤٠	٧	فكنوا	فكمنوا
١٥١	١	سَر	سُر